السلسلة الشعرية
١٠

الاختيار

شعر

يحيى السماوي

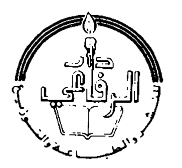
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الاختيار

الطّبعَة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

* فسح هذا الديوان من المديرية العامة للمطبوعات
بوزارة الإعلام
برقم ١٠١٣٤/م تاريخ ٢٣ /١٢/١٤١٣ هـ





دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع

ص.ب : ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس : ٤٠١٣٦٧ (الفرات) ـ فاكسيملي : ٤٧٩٤٣٢١
المملكة العربية السعودية

السلسلة الشعرية

(١٠)

الاختيار

شعر

يحيى السماوي

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

٨١١,٩٥٦٧٠٨٢

٦٦ س السماوي ، يحيى

الاختيار : شعر / يحيى السماوي .- ط ١

.- الرياض : دار الرفاعي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م .

- . ص ؛ ٢٤ سم .- (السلسلة الشعرية ؛ ١٠)

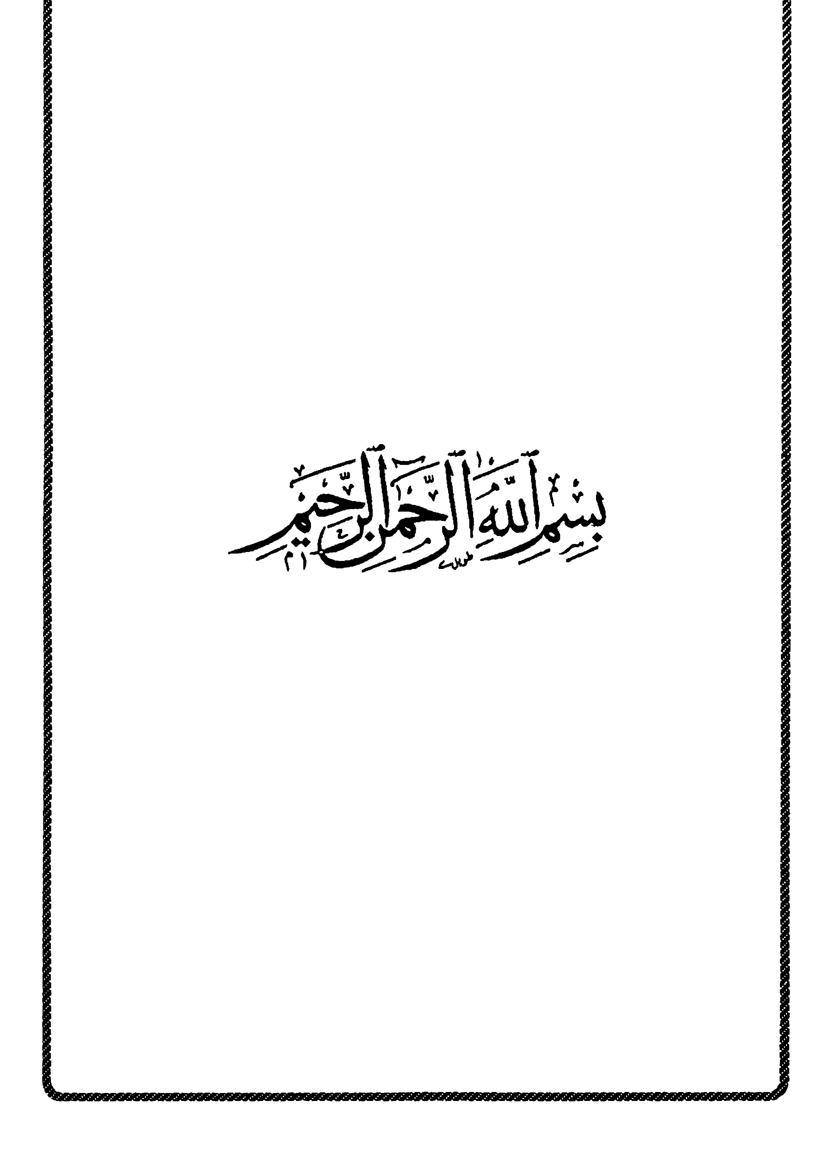
ردمك ٠ - ٢ . - ٦٦٢ - ٩٩٦٠

١ . الشعر العربي - دواوين وقصائد - العراق ٢ .

الشعر الوطني - دواوين وقصائد أ . العنوان ب . السلسلة

رقم الإيداع : ١٤/٠٧٩٠

ردمك : ٠- ٢ . - ٦٦٢ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الرفاعي - يرحمه الله -
وهذا الديوان

كان صاحب هذه الدار ، الراحل الأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي يرحمه الله ممن يجلّون صاحب هذا الديوان الشاعر العراقي الكبير الأستاذ يحيى السماوي ، وكان شديد الإعجاب بشاعريته المتدفقة المحلقة ، وقد أراد يرحمه الله أن يترجم هذا الإعجاب والتقدير عملياً بنشر هذا الديوان في طبعة تليق بشاعرية صاحبه ، وتعبر عن المشاعر التي كان صاحب الدار يكنّها للشاعر.

وكان يريد - يرحمه الله - أن يكتب لهذا الديوان مقدمة تبين للقارىء منزلة هذا الشاعر السامية في مدارج الشعر المعاصر ، وما يتصف به

شعره في الجمع بين صدق العاطفة وقيمة الكلمة ، وبين جودة السبك وروعة التصوير ، وقد وضع بالفعل رؤوس أقلام لهذه المقدمة ، ولكنّ المرض الذي ألمّ به لم يترك له أن يُتم ما أراد ، فمضى إلى ربهِ سبحانه وتعالى ، والديوان قيد الطبع .

ويجدر بالذكر أن عنوان هذا الديوان كان اقتراحاً من صاحب الدار ، فقد كان عنوانه (هذه خيمتي .. فأين وطني ؟) ، فاقترح يرحمه الله على الشاعر أن يسميه (الاختيار) ، آخذاً من خاتمة قصيدة مؤثرة ختمها الشاعر - على لسان أبيه - بقوله : « فاخترْ .. فإما أن تكون مع العراق .. أو أن تكون مع العراق » .

كما يجدر بالذكر أن الشاعر قد صدّر ديوانه بقصيدة سمّاها (ملك المروءة) أشاد فيها بخادم

الحرمين الشريفين ، الذي وقف مع الشعب العراقي في مناهضته للجور والظلم الذي حلّ به .

وإن كان الديوان قد تأخر في الصدور فإن العذر فيه ما مرّت به الدار من ظروف .. فضلاً عن الفراغ الكبير الذي تركه صاحبها برحيله - عليه رضوان الله .

ورجاؤنا فيه سبحانه وتعالى أن يجعل هذه الدار سائرة على النهج الذي خطّه صاحبها .. إنه سميع مجيب .

الناشـــر

الإهـــداء

أهـدي مجموعتي الشعرية هذه إلى روح فقيدنا الأديب الشيخ عبدالعزيز الرفاعي ، رحمه الله وطيّب ثراه ، عساها تكون باقة ورد عراقية على قبره المكي الطيب .

يحيى السماوي

١ مـلك المــرُوءة وَالتقى

لكَ من جمـوعِ المؤمنين سلامُ
بكَ عزٌّ بعد عنائه الإسلامُ

آخَيْتَ جَمْعًا قد تَشَتَّتَ شملُهُ
ومضى بهِ نحو الدماءِ خصامُ

فاسْلَمْ أبًا للمكرمات ، وحكمةً
بظلالِها تَتَفَيَّأُ الأيامُ

دانَتْ لكَ العلياءُ حين سَكَنْتَها
وَمَشَتْ وراء لوائِكَ الأعلامُ

وأعَدْتَ للصحراءِ عِفّةَ رملِها
حين اسْتباحَ عفافَها " صدّامُ "

يكفيك من فضل الإلهِ تَشَرُّفاً
هذا التُّقَى والحَزْمُ والإقدامُ

هَتَفَتْ لك الدنيـا فـأنت حكيـمُهـا
والمسلمـون إلى ندائكِ قـامـوا

* * *

قـد جـئتُ يا ملكَ المروءةِ مُثـقـلاً
بـالـضّيْمِ ، تـرهـقُ خـطـوتـي الآلامُ

فَأَرَحْتُ في " تاج الخليج " سـفـينتي
لمّا سـبـانـي في الـعـراقِ نظامُ

" الـعـفلقـيـون " الذين طبـاعُهُم
غــدرٌ ، وكـلُّ دروبـهـم آثـامُ

أنْذالُ هذا الـعـصـرِ ، لَوْثَةُ ثوبِهِ
من أين مـرّوا : فـالطريقُ جُذامُ

هذا عـراقُ الطيـبين يقـودُهُ
نَذْلٌ لـهُ فـي الموبِقـات زُحـامُ

عن أيٍّ جـرحٍ من جـراحي أشـتكي ؟
حـتى نخـيل الرافـدين مُضـامُ !

ثَقُلَتْ عــذاباتُ العــراقِ ، وأثْقَلَتْ
أعـنـاقَنـا الأغـــلالُ والأحـكامُ

في كلِّ يومٍ تُسْتَبـاحُ مـدينـةٌ
وبكلِّ يومٍ يُسْتـبـاحُ كـرامُ

شَنَقوا الصباحَ على نوافذِ عمرنا
يا للظلام ... وأُجْهِضَتْ أرحـامُ

ساسَ " ابنُ عفلقَ " فاسْتباحَ مُحَرَّماً
وأحَلَّ مـا قَدْ حَرَّمَ الإســلامُ

نجسٌ ، لـه فـي المـنكراتِ رِيـادَةٌ
ولـهُ على عُنُقِ العـفـافِ حُسـامُ

أحـلامُـهُ الحـمـقـاءُ مـحضٌ خـرافـةٍ
عَبَثَتْ بـه الـظـلـمــاءُ والأوهـامُ

قـــمعٌ وتنكيلٌ وهدم مــســاجــدٍ
إنَّ المـآذنَ فـي الـعــــراقِ حـطـامُ

شـــاختْ أمـــانينا ، وذُلَّ عـــزيـزُنا
وسَمــا على شَرَفِ الـشـريفِ لئـامُ

عَلَمُ الـعــراقِ مُثَقَّبٌ بـرصـــاصـــهم
وبنو الـفـضـيلة في الـعـراقِ سُقـامُ

شِيَمُ الـطـغــاةِ الـغَدْرُ ، لـيس لمثلهم
شرفٌ - وإنْ صَلّوا الصلاةَ وصامـوا !

الـشـاربونَ دَمَ الـفـضـيلةِ سـاخناً
والـتـــاركـــون عـــدوَّنا يَلْتــامُ

* * *

ثُرنا وما ثاروا .. وحين تَعَثَّرَت
أَقْدامُنا ، وتثاقَلتْ أقوامُ :

هَبّوا علينا بالفجائع والأسى
فَلَهُمْ على كلِّ الصدورِ سهامُ

فشربْتُ دجلةَ والفراتَ ، وما ارتوت
شفتي ، متى رَوّى الظميءَ ضِرامُ ؟

فحملتُ أكفاني وعشبَ طفولةٍ
وبمقلتيَّ من الهمومِ رُكام

قد جئتُ بيتكمُ الطّهورَ وبيْ لهُ
شوقٌ تنوءُ بوجدِهِ الأعوامُ

نِعْمَ الرجالُ : الحافظون لدينِهِمْ
والمُنْتَخُون إذا اشتكت أقوامُ

□□□

٢ ياسـيّدي المـكيّ

« ألقيت هذه القصيدة في إحدى أمسيات نادي أبها الأدبي في رثاء معالي الأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي يرحمه الله ، ورأى الشاعر أن يتضمنها الديوان ».

يرثيك - قبل الناطقين - كتابُ
والمُثْكَلان : الدارُ والأطيابُ

تعيا حروفي ، وهي بعدُ فتية
فيسير بي نحو السكوتِ ركابُ

كَبَتِ الجفونُ على نوافذ مقلتي
وتعثرتْ بدموعها الأهدابُ

ومشى على المرسى لهيبُ فجيعتي
فإذا رمادي خيمةٌ وثيابٌ !

حدّقتُ ، لا صحبي بحضنِ سفينتي
قربي ، وما لي نحوهم أسبابُ

عاتبتُ أحداقي .. وحين نهرتُها
وامتد بيني والديار عتابُ

قـــالت : أردتُ الـطينَ يـنـفضُ مــاءهُ
« لا غرو - يشتاقُ التراب ترابُ » [(١)]

تـاق المحبُّ إلـى « الحـبـيـب » [(٢)] وراعهُ
إن الهـوى بعــد الأحـبــة صــابُ !

ياســيــدي المكيَّ كم رغب الفــتـى
وصــلاً - وتبــخلُ باللقـــاءِ ربابُ !

يــاســـيـــدي المكي يكفـي أنـنـا
حـطبٌ وأنّ الـنـائـبـــاتِ ثـقـــابُ !

يــاســـيـــدي المكي يكفـي أنـنـا
بـشــرٌ ، لـنـا بـعــد الـلـقــاءِ غــيــابُ

يـا ســـيـــدي المكي بـين قـلوبِنـا
وصل - ومـــا بـين الـوجــوه حِجــابُ

أنـا مــارثـيــتك ســيــدي لـكـنـمــا
يـبـكي عـلـى قـــيـــثــارِهِ « زريابُ » !

الجمر في كأسي وفي صحن المنى
رملٌ ، وما بين الضلوعِ حرابُ !
غادرتُ بستانَ النعيم ترفُّعاً
وألذُّ من عسل الضلال الصابُ
فإذا تعثَّرَتِ الحروفُ على فمي
واخشَوْشَنَتْ قبل الدموع رِضابُ
فأعذُر سمير الحرفِ حين تصدّعَتْ
كلماته - فإذا السّكوتُ جوابُ !
شَطّتْ بنا الدنيا .. عسى من بعدها
يخضرُّ - من بعد المصابِ - ثوابُ
ينبوعُنا الصافي وراء حياتنا
ولنا عِقابٌ بعدها ومثابُ
ياسيدي المكي كل نفيسة
ولها - وإن طال الزمانُ - خرابُ

غلب القضاءُ صروحنا فتناثرت
وتعدّدت لخرابها الأسبابُ
ياسيدي المكي آيةُ ضعفِنا
إن المهيمنُ وحده الغلاّبُ
أنا ما رثيتُك سيدي ، لكنما
وجهي حقولٌ والدموعُ سحابُ
نبكي على الدنيا - ونعلمُ أنها
نهرٌ - ولكن المياه سرابُ!
الموتُ حطّابُ الحياةِ وإنما
ستقومُ بعد حصادها الأحطابُ
تخضرُّ ما عبق الهدى بجذورها
وتصيرُ نخلاً طيباً أعشابُ
يا سيدي المكي ما عمر الفتى
إن لا يُزانُ بنُسكِهِ المحرابُ ؟

عــمــرُ الفــتى إيمانُه وفــعــالـه
أمــا الـسنونُ فــرغــوةٌ وســرابُ

سبـعون عـاماً ، كنت فـي أفـيـائها
مــتـنسكاً مـــا راودتكَ رغـــابُ

سبـعون يحسبُها البطورُ سويعةً
لكنهــا عند المشــوقِ عــقــابُ !

فكأنّ قلبك للجــمــيع حــديقــةٌ
وكــأن وجـهك للمــحــبــة بابُ !!

أنا ما رثـيتُك - بل رثيتُ بشاشة
ثكلت فجلٌّ على « الشريد » مصابُ

* * *

حظي من الوطن المبــاح تشــردٌ
عــاتبتُ حظي لو يفـيـد عــتــابُ

أصـــبـــو - ولكنّ الـطريق طـويـلةٌ
والـزادُ قــحـطٌ ، والأحــبــة غــابـوا

سَكَبَتْ نـواعـيـرُ الـعـذابِ طـفـولتي
أيعـودُ لي بعـد المشـيـبِ شـبـابُ ؟

الأربـعــون - وإن أذل صــبــاحــهــا
لـيلُ الأسـى والـنـفـيُ والـتّغــرابُ

تبـقـى - عـلى رغـم الكهـولة - طفلةٌ
ويظلُّ - رغـم الداجـيـاتِ - شِـهـابُ

ســبّحتُ للـفــرد الـعـظـيم وفـي دمـي
ظـمـأٌ ، ولـي نـحـو الـنـمـيـر مـآبُ

كـــفِّي عـلى رأسـي تـطـيـلُ تـشـكراً
لله - مـــا ازْدَحَمَتْ عليَّ صــعــابُ

عـــبّأت بـالـنـسك الجليلِ هـوادجي
فـإذا الـنـدى فـوق الـشـفـاه رضـابُ

أستـسهلُ الصعبَ المُميتَ لعلّني
سيضيئني بعد الشقاءِ ثوابُ

متوسلاً عطف الكريم على فتىً
عبثت به الأيامُ والأحبابُ

* * *

ياسيدي المكي ، لستُ بنادبٍ ..
أعطاكَ ثم أرادَكَ الوهابُ

لكنما طبعُ الضعيفِ بكاؤهُ
وجداً ، وطبعُ الديمةِ التسكابُ!

أطنبتُ في حزني على باب الهوى
إن الهوى من طبعه الإطنابُ

أبكيك ؟ أم أبكي عليَّ ؟ كأنني
شُيِّعْتُ قبل الموتِ يا أصحابُ !

ياسيدي المكيُّ تبقى بيننا
ما شعَّ في القلبِ الوفيِّ شهابُ

كم حاضرٍ فينا وما لوقوفهِ
ظلٌّ ولا لغصونه أطيابُ !

ولرُبَّما قد أقْفَرَتْ بوجودِهِ
دارٌ وتقفرُ بالديار هضابُ !

أو راحلٍ عنّا - له ما بيننا
دفءٌ ، وفوق دروبنا أعنابُ !

يا غائبَ الأشجار عن أحداقنا
وله ببستان القلوبِ إيابُ !

ياراحلاً من بيته لقلوبِنا
فكأنهُ لقلوبنا أعصابُ !

غادَرْتَنا جسماً - وما غادَرْتَنا
إن الحياةَ لجيئةٌ وذهابُ

قـد تاقت الرّوح الطّهُور لربهـا

« لا غروَ يشتاقُ الترابَ .. ترابُ »[١]

فاهنأْ بمجدِكَ يا ابن مكة ، حسبُنا

أن الثـوابَ - وقـد رحلتَ - شِعـابُ

ياسـيـدي المكي عطّرْتَ الشـذى

بشـذاكَ ، وانتـهـجت رؤاكَ لُبـابُ

□□□

---

(١) المحصور بين الأقواس من بيت للشاعر الكبير الفقيد ، في قصيدته (السبعون) .

(٢) الحبيب : هو حبيب الله المصطفى ﷺ ، وللشاعر الفقيد في حب النبي ﷺ أروع القصائد .

٣ إنَّ الثوابَ عَلى قدرِ المشقّاتِ

إلى :

« المربي والأديب الكبير الأستاذ الدكتوريوسف عز الدين ... معلم أجيال قبل ضياع وطننا تحت ركام القهر » .

طِينٌ .. السماوة .. لا نَجْمُ السماواتِ
يَشدُّ أمسي ويومي بالغَدِ الآتي

أهكذا العشقُ ؟ يسبيني وأحْمِلُهُ
رُغْمَ انْطِفاءِ شبابي وانْدِحاراتي ؟

أهكذا العشقُ ؟ يَجْفُوني وأتْبَعُهُ
فما أَصَخْتُ إلى صوتِ انكساراتي ؟

أهكذا العشقُ ؟ يا خَوْفي على وطني
منّي ، ومنهُ على نُسْكي ومَشكاتي !

مُشَرّدٌ وهمومُ العمرِ أمْتِعَتي
حملتُها – وجراحاتي محطّاتي !

هويَّتي ؟ غَجَريٌّ لا بلادَ لهُ
إلاّ ظِلالُ بلادٍ في " الهويّاتِ "

خطيئةُ العصرِ في وجهي مكثّفَةٌ
أنا ابنُ دجلةَ لكنْ : في " السّجلاّتِ " !
عشقتُ " دجلةَ " حتى كدتُ ألْعَنُها
وألعنُ الوطنَ المخْبوءَ في ذاتي!
نَخَلْتُ أسْطُرَ قاموسي لعلَّ بها
ما قَدْ تَزِينُ بأفراحٍ عباراتي
وَجَدْتُ لفظ " عراقٍ " في صحائفِهِ
كما الفرات ولكنْ : دون " راءاتِ " !!

* * *

مرافئي خَذَلَتْنِي ياشراعاتي ...
فعانقي ياريَاحَ الثأرِ راياتي ..!
بَرْدانُ أُوقِدُ أعصابي وأوْردَتي
كيما أُذيب ثلوجي باحتراقاتي

ومن رمادِ هشيمي أبْتَني وطناً
حَمَلْتُهُ حيثما تَنْأى مسافاتي

كأنَّما النّفْيُ عن أهلي وعن وطني
أو التشرّدُ ، أضحى من هواياتي !

تساقَطَ الأمسُ يا بغدادُ مُنْخَذِلاً
فهلْ سيسقُطُ مني يوميَ الآتي ؟

وما نَدِمْتُ على جيلين في سَغَبٍ
فقدْ ربحتُ من الدنيا خَساراتي !

" الأربعون " على ظهري تُقوّسُني
وما أزالُ شريداً .. يا لمأُساتي

لقد بدَأتُ طريقي - وهي شائكةٌ -
مكابراً ، وعلى كفّي نهاياتي

على فمي خَبَزَ الحرمانُ أرْغِفَةَ
طَحِينُها قَلَقي ، والنارُ آهاتي !

عَجَنْتُ قمحي بدمعي حينما رَفَضَتْ
صفيحتي ماءَ ينبوعِ الغِوايات

لَقَدْ خسرتُ " فراتاً " غير أنَّ غدي
رِباحُهُ في الهُدى أنهارُ جَنّاتِ

أَضَعْتُ جدْولَ بستاني ، وضَيَّعَني
وَهْمٌ ، أأطْلُبُ ثأراً من خيالاتي ؟

فكيفَ يَخْذِلُني نَفْيٌ وَقَدْ نُفِيَتْ
دُنياي عن مُقَلي منذُ البداياتِ ؟

وما خشيتُ من الماضي ونكبَتِهِ
إني أخافُ على قومي من الآتي !

نَأَى عن الشمس " فَرْدٌ " سَاسَنا عَسَفاً
وصار يمشي على ضوءِ الشعاراتِ !

* * *

وصاحبٍ راحَ يُسْدي لي نصائِحَهُ
ولم يكنْ ناصحاً يوماً حماقاتي !

يقولُ : دَعْكَ فما غَيّرْتَ مُفْتَسِداً
فَعِشْ حياتَكَ في يُسْرٍ وَمَلْهاةِ

وَخُذْ - كغيرِكَ - أفْياءً مُنَعّمَةً
ودَعْ لغيرِكَ تقويمَ الخَطيئاتِ

وما سيصنع فَرْدٌ في مواجهةٍ
معَ الطُّغاةِ وأربابِ انتهاكات؟

وقائلٍ : إنَّ أمي مَنْ تَزَوَّجَها
يصير عمي فأَنْسى وَعْدَ ثاراتي !

* * *

جَهالةٌ وحماقاتٌ يُرادُ بها
لَجْمَ الضميرِ وإطْفاءَ المَروءاتِ

منافقون ودَجّالونَ ما رَفعُوا
سيفاً ، ولا خَفَضوا صوتَ المُراءاةِ !
أجَلْ ، فإنَّ حريقاً شَبَّ مُكْتَسِحاً
ما كانَ غير نُثارٍ من شراراتِ
وإنَّ همسةَ إيمانٍ مكابرةٍ
أقوى وأعْنَفُ من لَغْطِ الصراخاتِ
وأيُّ ثوبِ حريرٍ ليس تَقْرَبُهُ
يَدُ البِلى ؟ أدَوامٌ للمسَرّاتِ ؟
أحِبَّتي كلُّ مَنْ يَسري بأَعْرقهمْ
دمُ الشّهادةِ لا شهد اللذاذاتِ
قد اخْتَبَرْتُكِ يادُنيايَ .. فاحْترِسي
وحاذِري أنْ تنالي من خَياراتي !

* * *

وغـــادةٍ خَتَمَتْ أُولى رســـائِلِهـــا
بـطبع مــبْسَمــهــا بين الوُرَيْقــاتِ

يــكـــادُ يَنْضَحُ مـــن بلُّورِهـــا مَطَرٌ
من الـتَّغَنُّجِ ، تبـــدو مـــثلَ مـرآةِ

فَتَسْكِبُ الخَدَرَ الوحـشيَّ ضِحْكَتُهـا
وتـنـثُرُ الدِّفْءَ فـي لـيل الصّبـابات

تُبَلِّلُ الـرّوْحَ إنْ جَفَّتْ جـــداولُهـــا
وتـنـشــرُ الـعطرَ في أرجـاءِ غـاباتـي

رَمَتْ إلَيَّ شـــــراعـــــاتٍ مُطَرَّزَةً
وخُضْرَةً يَشْتَهـيــهـا نـخلُ واحـاتـي

وَمَكَّنَتْنِي فــمـاً مـازالَ مِلْءَ فــمي
رحــيــقُهُ منذ أعــوامٍ سَحــيــقــاتِ

قــالتْ : أُريدُكَ لـيْ وحـدي فـلا سَفَرٌ
إلاّ وَيَبْدَأُ مـن أهدابِ مـــرســـاتـي

فَأَنْتَ كُحْلُ عـيـوني لا أُفـارِقُهُ
إلى ميـاسِمِكَ اشتـاقتْ تُوَيْجـاتي

حَسَدْتُ غيري على "بحبوحةٍ" ، وأنا
حَسَدْتَني بكَ يا هذا صديقـاتي ..

لَسَوْفَ تبصرُ - إنْ طاوَعَتْني - مُدُناً
من اللذائذِ عندي ، والمسـرّاتِ

فـمـا يُضيـرُكَ منْ شِعْرٍ تَرُدُّ به
شرّاً يرومُك ؟ فامْدَحْهُم بأَبْيات !

نَهَرْتُهـا ، وكـأنّي قـد نَهَرْتُ فـمي
ومقلتي وصراخَ الرغبةِ العاتي !

خَذَلْتُهـا مع أني كنتُ أَحْسَبُهـا
فيما مضى ـ حُلُمَ الدنيا ومولاتي !

خَلَعْتُهـا من فـؤادي غـيـرَ مُكْتَرِثٍ
وما نَدَمْتُ على أحلى حبيباتي !

* * *

إذا ابتـــهلتُ فلله ابتـــهـــالاتي
وإن مـشـيتُ ، فنورُ الحقِ مَشْكَاتي

أصارعُ البُغْضَ والطغيانَ ما صَعُبَتْ
طريقُهُ واســتــجـارَتْ من ضَلالاتِ

جـعلتُ سـهـميَ آياتٍ .. فـأين لهم
- إذا رميتُ بها - من سهمِ آياتِ؟

أُبَشِّرُ الــزمــنَ الآتــي بـأنَّ لــنــا
شـمسَ المَسَرَّةِ من خـيـر الرسـالاتِ

ومـــا جـــزعتُ لأنَّ الدَّرْبَ شـــائكةٌ
إنَّ الـثّوابَ عـلى قَدْرِ المشـــقّاتِ

□□□

٤ العَزفُ بالسّيُوفُ

هامش :

ذَبَحَ الذلُّ طيورَ العنفوانْ

سَقَطَتْ كلُّ قناديلِ الرجاءْ

فلماذا فَتَحَتْ بغدادُ في هذا المساءْ

ساعِدَيْها ـ

فَتَمَطَّى فوقَها « جنكيزُخـــانْ » ؟

* * *

خـرجـتُ مـن ثيابكم مقـبرةِ الأحيـاءْ

مقاتـلاً – سيفـي دمـي ..

جيـوشـيَ الأطفـالُ والشـيوخُ والنسـاءْ

وَالغَضَبُ الجامـحُ –

والـذيـن مـا تَنَعَّمـوا يـومـاً علـى أسـِرَّةِ الـرخاءْ

خـرجتُ للفضاءْ

أبحـثُ عـن فضيـلةٍ ،

عـن مـدنٍ غير التي كان أبـي يأْلَفُهـا

فقـد رفضـتُ اليـومَ أن أعانـقَ المـوتـى

وأن أُقلِّدَ الأشياءْ

أنا هو البحرُ الذي جَفَّ ..

أُريدُ الماءْ

أنا هي الأرضُ التي تبحث عن فضاءْ

أنا هو الطوفانْ

أريدُ للعراقِ أنْ يشربَ من بحيرة الإيمانْ

أريد للعراقِ أنْ يخرج من زنزانةِ البعثِ

إلى جنائن القرآنْ

أريد هذا الشعب أن يمتلك الزهرةَ ،

والموجةَ والأغصانْ

أريدُ أنْ نخرج من طاقية الطاغيةِ الجبانْ

وأنْ نُغَنّي اللغةَ الجديدة الألحانْ

* * *

نحن من عشرين عاماً

نتغنى بمزامير « ابن ميشيلَ » ،

وسحرِ السّحَرَهْ

بشعاراتِ ضلالٍ قَذِرَهْ

بالفتوحات التي تهدم أعشاشَ العصافيرِ

وَتَغْتالُ فضاءَ « القُبَّرَهْ »

وبساديّةِ « صدّامَ » وَقَيْحِ الهَمَجِيّهْ

فَأَعَدْنا لعراقِ اللهِ رِجْسَ الجاهليَّهْ

ولهذا :

نحن مُتْنا قبلَ يوم الآخِرَهْ

فاخلعوا الأكفانَ عنكم ...

دارت الأرضُ - وما دُرْنا ،

وناعور العذاباتِ يدورْ

آنَ للمقتولِ أنْ ينهضَ

والقاتلِ أنْ يدخلَ بِئْرَ المَقْبَرَهْ

آنَ للمنفيِّ أنْ يملك ظِلَّ الشَّجَرَهْ

ونُصلّي فوق عشب الوطنِ المذبوحِ

أنْ نمتلكَ الأنهارَ والحقلَ ،

وأن نأكُل لُبَّ الثَّمَرَهْ

فانزعوا الأكفانَ –

هذا زمن السيف الذي يفتح بابَ المَغْفِرَهْ

□□□

٥ أخ المحبّة

إلى أخي الأديب

حمد عبدالله القاضي .

أضاقَتِ الأرْضُ ؟ أمْ أقْوَتْ بها الدارُ
فما يُطِلُّ على الميناءِ بَحّارُ ؟

متى يُرِيحُ شراعاتٍ مُمَزَّقَةً
مُشَرَّدٌ سِفْرُهُ قَيْدٌ وأسْفارُ ؟

عامٌ وآخرَ والحرمانُ مركبتي
وفي دمي من رياحِ الشوقِ إعْصارُ !

ثقيلةٌ هذه الأسرارُ أحملُها
وربَّما تقتلُ الإنسانَ أسرارُ!

قد افْتُضِحْتُ ولم أُفْصِحْ ، فكيف إذا
صبابتي أفْصَحَتْ وانْثالَ إجْهَارُ ؟

فلا المشوقُ له أمْرٌ على نَظَرٍ
ولا تُخَبِّىءُ ذُلَّ الدمع أنظارُ

على مِسَلّةِ أيامي رمادُ غدٍ
وفي حقولِ غدي من أمْسِهِ نارُ

أيُرْتَقُ العمرُ ؟ أعوامي مُمَزّقةٌ
وثوبُها يا خيوطَ الصّبْرِ أطْمارُ

سَتَرْتُ عورةَ أحزاني بأَرْدِيةٍ
نسيجُها فَرَحٌ وَهَمٌّ وَمِزْمارُ !

وما الغريبُ غريبَ الدّار حيث نأى
إنَّ الغريبَ : الذي ضاقَت به الدارُ !

أدارَت الأرض يا بغدادُ عن سفني
وَضَيَّعَتْ « قيسها » ليلى وعشتارُ !

أصاهَرَتْنا خطايا العصرِ أجمَعُها
فيومُنا بعد ماضٍ مشرقٍ عارُ ؟

إذا أطَلّ هلالُ العيدِ أفْزَعَني
فما « لدجلةَ » بالأعيادِ أخْبَارُ !

صَفَقْتُ بابَ الأماني حين أشْرَعها
على العراقِ لئيمُ الطبعِ ، غدّارُ

مَشَتْ على جسدي أسواطُ غيلتِهِ
وما تزال لها في الأهلِ آثارُ

أضاقَتِ الأرضُ يا بغدادُ فالْتَجَأتْ
عن العراقِ نهاراتٌ .. وأقمارُ ؟

وما بطولةُ سكّينٍ ضَحيَّتُها
دَمُ المروءَةِ ، أو غُصنٌ وأزهارُ ؟

رَأيْتُ « هرون » يرثينا ، و« معتصماً »
يبكي ، ويشتمُنا في الكرخِ « بَشّارُ »

فلا « الرصافةُ » تبِرُّ المجدِ يَرْصِفُها
ولا انْبَرَتْ لِسقيطِ القومِ « أنْبارُ »!(١)

ولا « السَماوةُ » تزهو في طفولتها
ولا ازْدَهى بعبيرِ العِشْقِ « عشّارُ »(٢)

كــــأنمَّا الـليـلُ أثـوابُ الحِداد عـلـى
صُبْحِ الـعـراقِ وقـد أرْداهُ «جَزّارُ» !

تـغَافَل الدهـرُ حـتـى كـادَ يَجْهَلُنا
فَلَيْسَ يَعْرِفُ مــا « شَوَّال » آذارُ !

أخَ المَحبَّةِ مـــا شُلَّتْ عـــزائمُنا
ولا اشـتكى شِدَّةَ الرمـضـاءِ فَخَّارُ

سَيَتْعَبُ القَيْدُ منَّا ، لا شكيـمـتنا
وَحَسْبُنـا أنَّ نَصْرَ الـلـهِ جَبَّارُ

أيَتْعَبُ الوَرْدُ من عطرٍ ؟ وهل تَعِبَت
من السُّهادِ بليلِ الشوقِ أقْمَارُ ؟

وهل سَيَكْرَهُ « ليلى » مَنْ مُنى غَدِه
« ليلى » وكلُّ حِسانِ الأرضِ أحجارُ؟

وَهل تُلامُ حـقـولُ التِّينِ لو رَقَصَت
غـداةَ تَلْثِمُها في الصيفِ أمطارُ ؟

فَضِقْ علىٰ خَطْوِنا يادربُ ، واتّسِعي
جراحَنا ، واخْزِنِ الإعصارَ ياثارُ !

أخَ المحَبَّةِ يا دِفْئاً « مرافِئُهُ »
تُغْرِي ، فما راوَدَ البَحَّارَ إبْحار(٣)(٤)

عامٌ وآخرَ .. والأخبارُ مرثيةٌ
متى تُبَشِّرُ بالأعيادِ أخبارُ ؟

بَيْنِي وبين وجوهِ الأهْلِ قافلة
من الرماح وجلّادٌ وأسْوارُ !

يُصارعُ القيدَ أحرارٌ بمُظْلمَةٍ
أمّا الأراذِلُ والشُّذّاذُ : أحْرارُ !

أخَ المحبةِ لي ما بينكم شَرَفٌ
وإخوةٌ وأحبّاءٌ ، ولي جارُ

لكم عليَّ - يمين الله - ما نَبَضَتْ
بيَ العروقُ : هوىً صافٍ وتذكارُ

وللمليك الذي تُرْجى فـــضـــائلُهُ
فَحِلْمُهُ لشـحـيحِ العَيْنِ إبْصـــارُ

يمـينُهُ بكتـــابِ اللـهِ ممْسكَةٌ
وفي الشمالِ من « المَحبوبِ » آثارُ (٥)

بِجَانِحَيْهِ أبوبكرٍ وصـــاحـــبُهُ
وذو الضيـاءِ - ابن عفّانٍ - وكرّار (٦)

وَمَنْ تَعَهَّدَنـــي قَفْراً فَأَعْشَبَنـــي
بفـضـلِهِ ، فـهـو لِيْ قَمحٌ وأنهـار (٧)

طابَ المقـامُ - أخـا حـرفي - وَطَيِّبَهُ
أنَّ الثـــرى طاهـرٌ والجـــمعُ أخْيَارُ

---

(١) الأنبار : محافظة عراقية على مقربة من بغداد .
(٢) العشار : منطقة من أجمل مناطق البصرة .
(٣) أخ المحبة : الأخ الأديب حمد القاضي .
(٤) مرافئه : إشارة إلى حقل « مرافىء » في المجلة العربية والذي يحرره الأخ الأديب حمد القاضي.
(٥) إشارة إلى كتاب الله والسنة النبوية الشريفة ، باعتبارهما المنهج الذي اعتمدت عليهما القيادة الرشيدة في المملكة .
(٦) إشارة إلى الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين .
(٧) إشارة إلى كريم الأدب وأديب الكرم ، الشيخ عبدالمقصود خوجة .

٦ تسلّق

تَسَلَّقَ « اللبلابُ » سطحَ الدَّارْ

فأَعْشَبَ الجدارْ

تَسَلَّقَت عيناكِ عينيَّ

فَضَجَّ في دمي حقلٌ من الأزهارْ

وَعَرَّشَتْ على فمي حديقةُ الأشعارْ

تَسَلَّقَ « الرفاقُ » زورقَ المنى . .

فانْتَحَرَ الصباحُ ياحبيبتي . .

وهاجرت عن العراق الشمسُ والأنهارْ

تَسَلَّقَ « التتــــارْ »

صبحَ « سرايیفو » ـ

فَطافَ الدمُ في جداولِ النهارْ

وانْفَرَطَتْ قلادة الأقمارْ

فكيف لا تنهــــــارْ

ضحكتنا ؟

وعن أغاني العشقِ تَنْأى شَفَـــةٌ

ويهرم القيثارْ ؟

□□□

٧ الاخـتـــيار

عامانِ مَرَّا مُذْ مضى أبتي وغادر بيتَنا ..

كيف استفاقْ ؟

فأطلَّ من خلف « الرِّواقْ » !

عيناهُ ممطرتانِ ،

بَدْلَتُهُ العتيقةُ نفسُها

والخوفُ نفسُ الخوفِ

مَنْ ؟ أَبَتي ؟

استـرحْ ـ

واخْلَعْ قـمـيـصَ الافـتـراقْ

فـبكى . .

رمـى الكأسَ الـتـي قَدَّمتـهـا . .

خبـزي المُعَفّرَ بالـرمـالِ ،

عِقالَهُ الكوفـيَّ ـ

أَخْرَجَ مُصْحَفاً وكتابَ أَدْعيـةٍ

وكوزاً فـيـه مـن دَمِـهِ المُراقْ

نَفَضَ الترابَ وقالَ :

ياولدي الذي عَرَفَ الخنادِقَ والحدائقَ ـ

والزَنازينَ ، الفنادِقَ ،

والفضيلةَ والنفاقْ

أقْسِمْ أمام اللهِ أنكَ لن تخونَ اللهَ ،

أو لَبَنَ الأمومةِ ..

لن تُساوِمَ إذْ تجوعُ

ولن تبيعَ وشـــاحَ أُختِكَ ـ

في مزاداتِ السياســـةِ ،

أو حوانيت « الرفاقْ »

فاخْتَرْ :

فإمّا أنْ تكون مع العراقْ

أو :

أن تكون مع العراقْ !

□□□

٨ صَهيّل الحروف

(إلى الشاعر أحمد يحيى بهكلي ..
رداً على قصيدته : « عزاء الشاعر ») .

صوتي لصوتِكَ - ماعاشَ النقاءَ - صدىً
فـاصْدَحْ بحـرفِكَ إن حـزناً وإن رَغَدا

يا فـارسـاً سـيـفُهُ حـرفٌ وَصَهْوَتُهُ
قـرطاسُهُ يَتَحـدَّى كلَّ من جَحَدا

بعض الحـروف لهـا نقْعٌ .. إذا صـهلتْ
تَصـاغَرَتْ دونهـا! للكافـرين مُدى

ومـا يضـيرُكَ من قـول الدُّعـاةِ وَقَدْ
غَرَسْتَ شِعْرَكَ في لحم الثـرى وَتَدا ؟

وأيُّ بـاذخـةٍ أحلى لذات هـدىً
من العنـاءِ الذي يَسْتَأْصِلُ الفَسَدا

فـاسرجْ خـيولك مـا ظلتْ لنا مـدُنٌ
تحت السنابك أو يصـبو لهنَّ عِدا

نام الخَلِيُّون ؟ مـــالي بالخَلِيِّ إذا
غَفـــا وظنَّ طريقَ الحقِّ قَدْ وُصِدا ؟

إذا رأيتُ شمـــوسَ الكونِ مُطْفَأةً
فـــإنَّ في مُقَلي يا صـاحـبي رَمَدَا !

وليلةٍ كنتُ فَرْداً في غيـــاهبِها
ســوى خلاصةِ حزنٍ فاضَ مُتَّقِدا

وكنتُ أحْسَبُني وحـــدي بمقـــفرةٍ
جـــرداء مـــا عَرَفَتْ روحـــاً ولا جَسَدا

وراعَني الخـــوفُ من ليلٍ وَوَحْشــتِهِ
كـأنَّ سيفَ الأسى في خـافِقي غُمِدا

أصخْتُ سمعي إلى صوتِ السكون وَقَدْ
عــرفتُ أنَّ الثـرى للهِ قــد سَجَدا

فـــآنَسَتْني تــراتيــلُ مُقَدَّسَةٌ
بهـا غَسَلْتُ جراح العمـرِ ، والكَمَدا

ما ضَرَّ لو رَحَلَ الأحبابُ عن بَصَري
فليس يقـــرّبني خِلٌّ يَمُدُّ يدا ؟

وها هو الكون من حولي يَشُدُّ على
كفي ، ويجعل نيرانَ الأسى بَرَدا



٩ الخروج من بئر الأسى

تَوَهَّمْتُ أنَّ الطريقَ لبغدادَ مأهولةٌ بالمياهِ

فأَسْرَجْتُ قلبي ..

وَيَمَّمْتُ وجهي إلى نجمةٍ في السماءِ ،

ودالية ٍ في الشمالْ

هكذا كان بدءُ الطريق المُسَيَّج بالنارِ ـ

قبل احتراقِ الرجالْ

وكان إذا ينحني خَطْوُنا : أَزْهَرَتْ فُسْحَةٌ

وانتشى البرتقالْ

وكنّا إذا تَعِبَ الخطو :

تغدو الرمالُ حصيراً من العشبِ

والشمسُ - رغم هجيرِ الظهيرةِ - تغسلنا بالمياهِ

وتنسجُ من غابةِ الشوكِ ثوبَ الظِلالْ

فجأةً : قامت الريحُ والنارُ ـ

فاسْتَيْقَظَتْ جمرةُ الإِنْخِذالْ !

فبغداد بين المَها والنُّهى وَزَّعَت « كرخَها

والرصافة »

واسْتَعْذَبَت كأْسَ عار الجحودِ وسيفَ المغولْ

نلتقي ؟

ربمـــا . .

غير أنَّ الحقولَ التي كنتِ أنهارَها

غادرَتْها الفصولْ

فنامَ على الكرخِ سَبْيٌ ،

وفوق الرصافةِ صَخْرُ الذهولْ

* * *

وَأَوْدَعْتُ سيفي لدى النهرِ

أَبْدَلْتُ وجهي القديمَ بوجهٍ جديدٍ ـ

لأني خجلتُ من السيفِ . .

من حَمْحَماتِ الخيولْ

مَضَيْتُ أُفَتِّشُ عن زَمني بين أوراقِ حزني

وتحتَ حطامِ الطلولْ

وهاجرتُ .. في كوزيَ النهرُ

خَبّأتُ خلفَ الضلوعِ الوَطَنْ

وحين عبرتُ الحدودَ :

انْتَبَهْتُ إلى بركةٍ في الطريقِ ..

اغتسلتُ ، وكَحَّلْتُ عينيَّ بالضوءِ

قلتُ لعلَّ العراقَ سينفض هذا السّخَامَ

وتصهل كل خيولِ الفراتِ ،

وأنَّ النخيل يَدُ كَّ الوَثَنْ

صَعَدْتُ على تَلَّةٍ في العراءِ ..

ويمَّمْتُ وجهي إلى شرفةٍ في العراقِ :

رأيتُ المشانقَ ساريةً ،

والـكَفَنْ

يُرَفْرِفُ !

يازَمَنَ العارِ ، صارَ الأسى رايةً للوَطَنْ

وصار العذابُ قميصَ الزَّمَنْ !

* * *

وما راعَني غيرُ قومي . . .

وهل غيرَ قلبي الذي يسكنونْ ؟

هَرَبتُ – وكلُّ الدروبِ مَسَيَّجَةٌ بالظلامِ ..

المنافذُ ملغومةٌ بالرصاصِ –

ومن خلفيَ المخبرونْ

أُخبِّيءُ خلف الضلوعِ العراقَ ،

وأهْلَ العراقِ وراء الجفونْ

فبغدادُ تأكل أبناءها الطيبينَ ..

وتضفر من شعرِها حَبْلَ شنقي ،

يداعبُ أثداءها المارقونْ

وبغدادُ ما أنْصَفَتْ حينما أنصَفَ الراحلونْ

وبغداد ترقصُ بين صهيلِ الخيولِ ،

وبينَ رنينِ المجونْ

وبغداد لم تعرفِ الغدرَ -

كيف ارْتَضَتْ أنْ تخونْ ؟

□ □ □

١٠ أزف الرّحِيل

ألقــيت في اثنينيــة الشــيخ الأديب عبدالمقصود خوجة تكريما لشاعر المدينة المنورة الأستاذ « حسن صيرفي » .

أزِفَ الرحيلُ .. وحانَ فيه شُرُوعُ
أيكونُ قبلَ لقائِنا التوديعُ ؟

إني سأَطْوي خَيمتي .. وأظنني
أطوي فصولاً كلُّهُنَّ ربيعُ !

أنا هاهنا عَرَفَ الصباحُ نوافذي
وهنا تَدَفَّقَ حوليَ اليُنْبُوعُ

وهنا تَوَطَّنَ بعد طول تَشَرُّدٍ
« بيتٌ » وشَبَّ مع الأمانِ رضيعُ

وهنا تَنَعَّمَ بالحريرِ مُخَرَّزٌ
بالشوكِ ، واغْتَرَفَ السّرورَ مَروعُ

أدري بأنَّ الدَّرْبَ سوفَ يُريقني
ويَعزُّ من بعد الرحيلِ رجوعُ !

أدري ، وأدري أنَّ طين كهولتي
سَيَجِفُّ ، والصبحَ الجميلَ يضيعُ !

أدري ، ولكنَّ الشموسَ بطيئةٌ
والقلبَ مني يا طريقُ جَزوعُ !

ثَكُلَتْ أماني العاشقين ، وأثْمَلَتْ
شفتايَ كأسي .. فالهوى موجوعُ

كلٌّ له « ليلاهُ » تسكن هدبَهُ
بدراً - وليلى مُقْلَتَيَّ دموعُ !

* * *

بالأمس - نِصْفَ الليلِ - عانَقَ مقلتي
وَجْهٌ لهُ منّي الفؤادُ خَضوعُ

تَرِفُ كثوبِ العُرْسِ ، رَيّانُ اللُّمى
عذب التغنج ، كالنعاس وديع

نَغَمٌ خُطاهُ على الطريقِ ، إذا مشى
رَقَصَ الرصيفُ ، فَخَطْوُهُ مَسْجُوعُ

هَطَلَتْ على حـقـلي هطولَ سحـابةٍ
فـاخْضَرَّ عـشبٌ ظامـئٌ .. وجـذوعُ

ورَمَتْ عليَّ مـلاءَةً من دِفْئِهـا
فـأنا ولـيلى : مُبْدِعٌ وبـديـعُ

وأنا ولـيلى : روضـةٌ وفِراشَةٌ
وأنا ولـيلى : آمـرٌ ومطـيعُ

وأنـا ولـيلى قِصَّةٌ بَدَوِيَّةٌ
وأنا وليلى ضـحكةٌ ودمـوعُ

فَسَأَلتُهـا : كيف اهتديتِ لضائعٍ ؟
قـالت : أنينُكَ يا شريدُ شمـوعُ !

إني عَرَفْتُكَ والمشـيبَ على نوىً
كيف احتـواكَ ، وأنت عنه منيعُ ؟

ما كان « شيباً » يا حبيبةُ .. إنَّما
زَبَدُ السنين بِمـفـرقي مـودوعُ !

الـتِّبْرُ حـين يـشـــيخُ يُصْبِحُ فِضَّةً
ويصـيـرُ صـبـحـاً يا منايَ هزيـعُ !

لا أُحْسِنُ الـتـزويقَ .. تلك طبـيـعـتي
أنا في الـهوى ـ كقصائدي ـ مطـبـوع

وأفــقتُ ، لا لـيـلايَ قــرب وسـادتي
تـشـــدو، ولا حُلُمي إلـيـــه رجـــوعُ !

فَأَتَيْتُ جَمْعَكم الحـــــفـيَّ .. ولـي بـهِ
نـبـعٌ ، وجــذرُ مــحــبــةٍ ، وفـــروعُ

وأَرَدْتُ قـــــولاً « بـالـكريم » وَضَيْفِهِ
فـــإذا الكلام إلـى الـلســـان رَجـيـعُ

يا شـعـرُ : مـا سِرُّ الـبـحـورِ تَعَثَّرَت
فَكَبـا أمـام « عـروضِـهِ » الموضـوعُ ؟

نَضُبَ الـيَراعُ ، وغـــادَرَتْ كلمـــاتُهُ
طـرسي ، فـــغــادَرَ سِمْطَهُ الـتَّصْرِيـعُ

* * *

بالحِبــرِ نكتبُ شـعــرنا ، وَحَفِيُّنَا
بالجـودِ يكتبُ وهو فـيـــهِ ضَليعُ (١)

يَدُهُ حــقـــولُ فــضـــائل ، وفـــؤادُهُ
بـيتُ الـشـــريد ، لـه عـليـــه صَنيـعُ

فـهو الـقـصـيدةُ تـزدهي ... فـعروضُها
كَرَمٌ ، وأحـــرفُهـــا تُقىً وخـــشـــوعُ

عـذراً إذا صَمَتَ الـقـصــيـدُ وأفْصَحَتْ
بَدَلَ الـقــصــيـدِ ـ من الـسكوتِ رُبُوعُ

صَمـــتـي صـــراخٌ يا كـــريمٌ وإنّمــا
نُطقي صَدى صـــمتٍ له تـرجـــيعُ !

قـــد جـئتُ أحـملُ أصــغـريَّ تَشَرُّفـاً
وعـلى فـــمـي وردُ الـثـناءِ يَضـــوعُ

قـلبي لـهـذا الجـمعِ حـقلُ مـحـبـةٍ
فـــالـزهـر هـدبـي ، والـغـصـونُ ضلوعُ

* * *

يا قـادمـاً من أرضِ « طيـبـةَ » مُدَّ لي
كـفّاً يُصـافـحـهـا الـفـتـى المفـجـوع (٢)

وانْفِضْ عـلـيَّ تـرابَ دربِكَ ، إنـنـي
بتـرابِ « طيـبـةَ » و« المزارِ » وَلوعُ

واخْبِرْ شفيعي ـ إنْ رَجَعْتَ ـ فإنَّ لي
قلبـاً عليـهِ من الـهـمـوم قُلُوعُ

مَنْ يا شـفـيـعي للوئامِ ، وبعضُنا
للقـتلِ والدربِ الضَّلالِ شـفـيعُ ؟

مَنْ ياشـفـيـعي للهدى ـ وإمـامُنا
فـوقَ المُصلّي سـيـفُهُ مـرفـوعُ ؟

مَنْ يا شـفـيـعي للحيـاةِ ـ وأمْسُنا
عنّا وعن غـدِ يومِنا مـقـطوعُ ؟

مَن يا شـفيعي ـ والسياسـةُ أصْبَحَتْ
باسم العـقـيدةِ تشـتري وتبـيعُ ؟

السيفُ والناقوسُ خلفَ ظهورِنا
وأمامَنا سوطُ الأسى والجوعُ !

كَبَتِ المآذنُ ، فالقبابُ شهيدةٌ
وشهيدةٌ تحت القِبابِ جموعُ !

بالماءِ يَنْطَفِيءُ الحريقُ ... فما الذي
يُطفي حريقَ الماءِ حين يُرِيعُ ؟!

نبكي ونَسْتبكي ، فَيَلْسَعُ صوتَنا
صَمَمٌ له دون السماع دُرُوعُ !

في كلِّ يومٍ « أشْرَمٌ » أفيالُهُ (٣)
عربيةٌ ، ومنافقٌ ، وَخَدوعُ

تَيْسٌ على أهلي وجاري واخوتي
وأمامَ نَدٍّ : أرنبٌ مَفْزوعُ !

إنَّ الصَّريعَ إذا تَسَيَّدَ شَعْبَهُ :
فالشعبُ قبل عَدُوِّهِ مصروعُ !

« نَذْلٌ » يؤمُّ بنا الصلاةَ ـ وثوبُهُ
بميـــاه أكـــوابِ النُّهى مَنْقُوعُ !

في كلِّ يومٍ تُستَجَدُّ فـــريضـــةٌ
وبكلِّ يومٍ بِدْعـــةٌ وفـــروعُ !

« الدَيْرُ » يَحْكُمُ تحتَ قُبَّةِ مسجدٍ
بعـــراقِنا فـــإذا النهـــارُ هزيعُ !

من أينَ يأتينا الصبـاحُ وموطني
مُتَهَتِّكٌ يحـــدو بهِ ، ووضـــيعُ ؟

من أين يأتينا الصبـاحُ ـ وديننُا
دينارُنا ، والموبِقـــاتُ ضـــروعُ ؟

من أين يأُتينا الصباحُ ـ وكوزُنا
زِقٌّ – فَمِنْ ثَمِلٍ يشـــيعُ ركـــوعُ !

فاضَ الأسى فوقَ الدروبِ ، فبابُنا
مـــخلوعـــة ، وجـدارُنا مـــخلوعُ !

ما نحنُ ؟ ما هذي الحرائقُ تزدهي
فكأنها لحقولِنا ينبوعُ .. ؟!

فتح العراقُ لـ « آل عَفْلَقَ » بابَهُ
وعلى ابْنِهِ وَمُشَرَّدٍ ممنوعُ !!

عتَمُ العصورِ جميعها بصباحه
وبليلِهِ سيفُ الضَّلالِ سَطوعُ !

* * *

رأسي على نَخْلِ العراقِ مُعَلَّقُ
وله بصومالِ الجياعِ نَجيعُ

وهناكَ أُختي يستبيحُ عَفافَها
« صِربٌ » ويَرْتَضِعُ الدماءَ رضيعُ

ذُبِحَتْ « سراييفو » وَشَيَّعَ صُبْحَها
ليلٌ قصارى جهدهِ التَّشْييعُ !

العـــالَمُ التـــتـــريُّ ليس بســـامعٍ
غـــيـــرَ الرصـــاص ، فَصَوْتُه المســـمـــوعُ

لقـــد انتـــصـــرنا في الإذاعـــاتِ التي
فـــيـــهـــا البنادقُ : مُطْرِبٌ ومُذيعُ

لقـــد انتـــصـــرنا في الخطابات التي
مـــيـــدانُهـــا التـــصـــفـــيق والتلمـــيعُ

لقـــد انْتَصَرْنا في حـــوانيـــتِ الهـــوى
فَتَنَفَّست نَصْرَ الخـــمـــورِ رُبُوعُ !

عـــذراً فَقَدْ خـــانَ الشـــرودُ قـــصـــيـــدتي
فـــاعْذُرْ شـــريداً مـــا احـــتـــواهُ هجـــوعُ

كلُّ البـــحـــورِ عَبَرْتُهـــا بقـــصـــائدي ...
فـــمـــتى يُطِلُّ على « الفراتِ » مُضِـــيعُ ؟ !!

□□□

---

(١) الحفي : هو الشيخ الأديب عبدالمقصود خوجة .
(٢) المراد به الأستاذ الشاعر حسن الصيرفي .
(٣) المراد به صدام حسين باعتباره « أبرهة » هذا العصر .

١١ ثلاث بكائيات في الزمن المجذوم

« إلى الأديب الكبير الشيخ عبدالعزيز الرفاعي وحديثه المشوق عن الماضي الزاهر للعراق قبل أن يصبح مزرعة للأسى في الزمن العفلقي » .

١ - بكائية أبي جعفر المنصور :

بكى على بغداده « المنصورْ »

بكى على حديقة النورِ وسندبانةِ العصورْ

مرَّ على مسجدِها القديمِ ،

ألْفاهُ بلا محرابْ

وكان بين الناسِ والكتابْ

جنــــــدٌ ،

وخلف البابْ

جندٌ ، وفوق السورْ !

فَفَــرَّ مذعوراً ـ

فـلا بـغدادُ فـي بـغـــدادَ

لا دجلــةَ في دجلـــةَ ،

لا الـعبيرُ في الزهـــورْ !

* * *

٢ - بكائية هارون الرشيد :

خَجَــلاً ـ

يَبْرَأُ من حاضِرنا الليلةَ « هارونُ الرشيدْ »

ومن الفَتْحِ « الرِّفَاقيِّ » الجديدْ

مَرَّ بالكــرخِ ...

فلا مئذنةٌ - غيرُ النواقيسِ

ونهرٍ من صديــــدْ

وعلى « دجلةَ » شادَ العارُ والخزيُ جُسُورا

كانت الموجةُ بالأمسِ عبيرا

صارت اليومَ دموعاً .. وخمورا

والأسى يمتد من خاصرةِ الكرخِ

إلى ثغر الرصافَــــــهْ

دَمُنا صارَ سلافَــــــهْ

وعلى نارِ الشعاراتِ يصير الجوعُ خــــبزاً

من رمادٍ .. وخرافَــــهْ !

* * *

٣ - بكائية علي بن الجهم :

مسرعاً سارَ « عليُّ الجَهْمُ » ..

في أحداقِهِ رملٌ .. وفي الثَّغْرِ خَرَسْ

ثُمَّ لما جاوَزَ الجِسْرَ جَلَسْ

لا المَها تمشي على الجُرْفِ ،

ولا النهرُ مرايا للهوى النشوانِ ،

لا عزْفُ سوى صوتِ الحَرَسْ

خطَّ بَيْتَينِ على الرملِ وقام . . .

عيونُ النُّهى بين « القيادةِ » و « القصرِ »

جَلَبْنَ الأسى من حيث أدري ولا أدري

رأيت نهارَ الكرخِ ليلاً مُعَتَّمـــــاً

حِداداً على بغدادَ والجِسرِ والنَّهرِ

□□□

١٢ ركض التيوس

« وأخيراً .. اكتشف مجلس الأمن الدولي ، أن أفضل طريقة لمعاقبة صدام - هي ضرب وتجويع الشعب العراقي !! »

كاذباً كان غبارُ الأفْـــقِ ..

لا نَقْعٌ ..

ولكنَّ التيوسْ

ركضتْ في ساحةِ الحربِ على وَقْعِ الشعاراتِ

وألحانِ الأناشيد

وأنغامِ الكؤوسْ

فلماذا يَفْزَعُ العالمُ ـ

يَسْتَنْفِرُ ماءً وتِروسْ ؟

كاذباً كان لهيبُ الأفْقِ ــ

لكنَّ المجوسْ

منذ جيلين ببغدادَ . .

و « بوذا » يوقدُ النخلَ العراقيَّ طقوساً

رافعاً رايةَ عار و « بَسوسْ »

لم يكن يطلب حرباً ،

كانت النيرانُ طقساً للمجوسْ

فلماذا يَفْزَعُ العالمُ من ركض التيوسْ ؟

ولماذا يُطْحَنُ الشعبُ العراقيُّ ــ

لكي يفهم « بوذا » أن للحرب دروسْ ؟

ولماذا يُحرقُ الحقلُ الفراتيُّ ؟

و « بوذا » باسم سيفِ القهر ،

باسم الجمرِ يجتَثُّ الرؤوسْ ؟

□□□

١٣ رُبَّ مجنون بلَيلاه عقل

إلى الشاعر العذب
يحيى توفيق حسن ، رداً على قصيدته
المهداة لي في صحيفة البلاد الغرّاء .

صــــاحِ لم أَسْأَلْ .. ولكنَّ الغَزَل
عن تباريحي وليلايَ سَأَلْ

ظنني كالأمسِ مازال فمي
نحلةً بينَ ثغورٍ وَمُقَلْ !

لم يكن يعرفُ أني شفةٌ
للعذاباتِ ، وأُخرى لِلْمَلَلْ

كان ليْ - لا أكتمُ السرَّ - هوىً
ضاحكُ الوردِ ، به الصّاب عَسَلْ

وحبيبٌ كلَّما حان لنا
موعدٌ : يَفْتَحُ باباً للزَّعَلْ

نـاعِسُ الـنـظـرةِ .. فـي خَطْوَتِهِ
- مـن دلالٍ ومـن الـكِبْرِ - كَسَلْ

بَدَويُّ الحُسْنِ ، لكنْ في الهـوى
حَضَرِيُّ الـطـبـعِ فـي صَدٍّ وَدَلْ

مَنَعَ الأنـهـارَ عن سنبلتي
وعن الثّغْرِ حـديثـاً وَقُبَلْ

مـطراً كـان - ولكنْ لم يكنْ
فـوق بـسـتـان صـبـاباتي هَطَلْ

يسكبُ النيـرانَ والماءَ مـعـاً
فــأنـا بـين بَرودٍ وَشُعَلْ !

غـابَ عن شـرفـةِ عـيْني عَسَفاً
وعـلـى نـافـذةِ الـعُذّالِ هَلْ

فـــإذا قلتُ مـــيـــاهي نظرةٌ

من جـبينٍ ضـاحكِ الظلِّ : أفَلْ

وإذا شــئتُ لقــاءً قـــال لي:

لكَ مـا شِئْتَ ، ولكنْ في زُحَلْ !

جــادَ بالصـدِّ على عــاشقه

وبوعــــدٍ يمطرُ الوَصْلَ : بَخَلْ

عَيْبُه سـهدي ، وعـيـبي أنّه

أصـبحَ الخـضـرةَ مني في المُقَلْ

ثم دالتْ دولةُ العـــشق بنا

فــــإذا كلٌ إلى دربٍ رَحَلْ

صـــاحِ لَمْ أسْألْ ولكنَّ النّدى

بعـد قَحْطٍ ببســاتيني أطَلْ

كنتُ - كـالـعـادةِ - أمـشي تائِهـاً
شـارداً بـين « مَديدٍ » و « رَمَلْ » [١]

فـإذا بيْ روضـة تَحْضِنُهـا
غـيـمـةٌ تمطرُ عِطْراً وزَجَلْ

أتُرى كـان جنوني حكمـةً ؟
ربَّ مـجنونٍ بـ« ليـلاهُ » عَقَلْ !

□□□

(١) المديد والرمل : من البحور الشعرية .

١٤ حين ينتقم الجرح من السكين

مَنْ قال إنَّ الدم لا يثأرُ من سَفَّاحِهِ

وإن جرُحَ الشرفِ المهانِ ـ

لا يحمل في نزيفِهِ مقصلةً وموتاً ؟

وإننا نألَفُ هذا السجنَ

حتى صارَ سنديانةً وبيتا ؟

مَنْ قال إنَّ الليل قد أطفأ فينا مُقَلاً

وإننا نشرب ذُلاً ونقيء صمتا ؟

غداً إذا ما انطلقَتْ دموع أيتامِ العراقِ :

تُغْرِقُ الجلاّدْ

فترتدي عفافَها بغدادْ

وينهض الشهيدُ من غَفْوَتِـــهِ ـ

والنخلُ من كَبْوَتِهِ ،

ليبدأُ الميـــــلادْ

* * *

نطلعُ مثلَ الكمأِ البَريِّ من تحت رمال القهر

من بئر الأسى ، من قِمَمِ الجبالْ

من قَصَبِ « البرديِّ » ـ

من تمَوّجِ الرمالْ

نطلع كالنِّبالْ

ندكُّ هذا السجنَ والسجّانَ والأغْلالْ

نطلع دون موعدٍ كزهـــر برتقــالْ

نطلع من جداولِ اليَقْظَةِ ..

أو حدائقِ الخيَالْ

فنرُجع الضحكةَ للثغورِ

والبريقَ للقنديلِ

والدُّمْيَةَ للأطفالْ

والعشبَ للحقولِ والموجةَ للضِّفافْ

ليُعقَدَ الزفافْ

بين غدِ العراقِ والأمَّـةِ

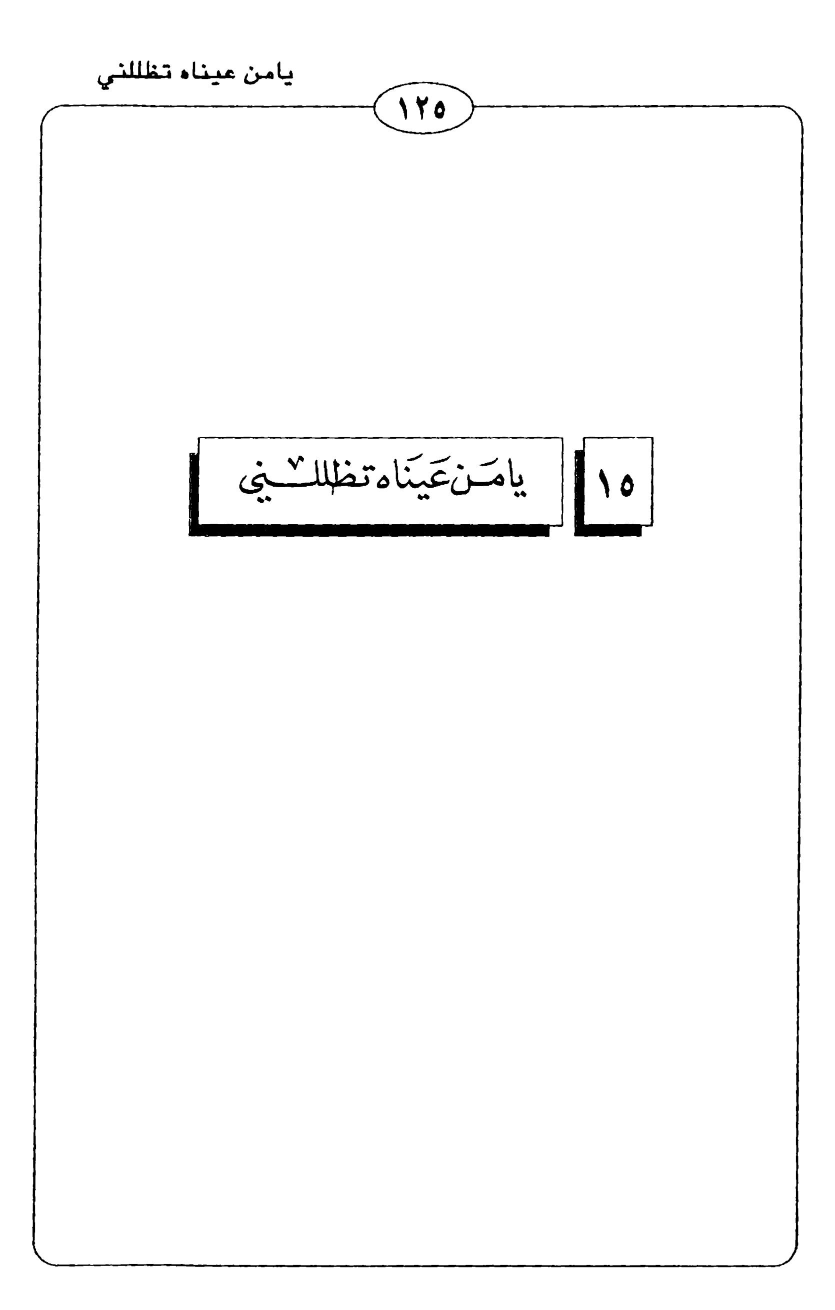
بين الخبزِ والجياعِ ،

والقهوةِ والدّلالْ

وبين أقدامِ العراقيين ،

والطاغيةِ الدجّالْ !

□□□



١٥ يامَن عَينَاه تظللني[٧]

أمي .. وشــقــيــقــاتي .. وأبي
ســــــألــونـي عـنـكَ ، فَلَم أُجِبِ

نَـطَقَتْ عـــيـنـاي ، ومــا نَـطَقَتْ
شــفــتي ، وحــيــائي شَهَّرَ بيْ

أَطَلَبْتَ يـدي ؟ خُذْهـا فـــأنـا
أَسْلَمْتُكَ عـــيـنـي .. لا هُدُبي

وفُؤاداً طـفـــلاً كــــوثَرُهُ
إيمـانُ وأخـــــلاقُ الـعَرَبِ

يــامَـنْ عـــيْنَاه تُظَلِّلُني
إنْ سِرْتُ - بــأَفْيــاءِ الـوَصَبِ

أَتْعـــبتَ خَيـــالي ياحُلُمـــاً
أضـنـاني ، يـا حلوَ الـتـــعبِ

بـالأمـس رأيتُ صـــديقـــاتي
يـهـــمـــسْنَ فَحَاصَرَني غَضَبي

أبْصَرْنَ « الحـرفَ » على صـدري
يـزهـو فـي الـسلسـال الذّهَبـي

سـألونـي عنـهُ فـقلتُ لهـمْ
« حـرفٌ » قَدْ فَرّ مـن الـكُتُبِ

واخْتـارَ الجـيـدَ لـه سطراً
وبسـاتين الـصـدرِ الـرّحِبِ

فـإذا مـا تَعـبَتْ أحـداقي
وَغَفَوْتُ عـلـى حـلُمٍ عَذِبِ

ألـفـاهُ الـصـبحَ على شَعـري
كـالنجـمـةِ فـي حـضنِ الـسُّحُبِ

يلهـو ببـراءةِ عـصـفـورٍ
مُنْبَهِراً بمـرايـا شُهُبِي

أطَلَبْتَ يـدي ؟ يـامَنْ فَمُهُ
ويـداهُ وخـافِقُهُ طَلَبـي .. !

□□□

١٦ هذا زمن الفارس الدجّال

عقد نظام بغداد مؤخراً ، مهرجاناً شعرياً تسابق فيه المدّاحون لابتكار ألقابٍ جديدٍ للطاغية صدّام .

بشرٌ بلا أرضٍ .. وأرضٌ دونما بشرٍ

تَجولُ الأحْصِنَهْ

ما عادت الأنهارُ حلماً للحقولِ

ولا الندى ألقى السلام على خُدُودِ السَّوْسنهْ

و« الناسكُ البصريّ » هاجرَ -

منذ ما حطّ التتارُ على جفون المِئْذَنَهْ

هذا زمانٌ خارجَ التاريخِ يابغدادُ

خارج مُقْلَةِ الدنيا وقلبِ الأزْمِنَهْ

هذا زمانُ الأحْصِنَهْ

تمشي على جسد الطفولةِ والرجولةِ

يقرعُ الناقوسُ في المدن الشهيدةِ

والبيوتِ المؤمنَـــــــهْ

هذا زمانُ الفارسِ الدجَّالِ

في وطني المُهيّأ للفجيعة –

فوق مائدة « المبادئ » –

أو ضفاف الجلجلَـــــهْ !

يتقافز الأطفالُ فوق أسِنَّةِ الجوع الفراتيِّ ،

اخضرارِ القحطِ ،

ظلٍّ المقصلهْ

من أين تجتاز الطفولة محنةَ الوطنِ المُدَمّى

يا ربيعَ الأسئلَهْ ؟

أبطالُ نصفِ الليلِ خلفَ البابِ

والتَّتَرُ الجديدُ على النوافذِ ..

للرغيف مَذاقُ طاعونٍ ،

و « دجلةُ » أرْمَلَهْ !

هذا زمانُ الفارس الدّجّالِ ،

والشّعْرِ المُدَجَّن ،

وانتحارِ السُّنْبُلَهْ !

يتساقطُ الشعراءُ في صَحْنِ الوليمةِ

يكرعون النخبَ –

باسم « رسالةِ » القهر « المُوَحَّدِ »

باسم مَنْ أهدى الطُّفولةَ قُنبلهْ !

ويُمَجِّدونَ العارَ يازمنَ الأسى

هذا زمان الشاعر الشَّحَّاذِ

يكنس في بلاطِ مَزْبَلَهْ

ويَنِشُّ عن عَسَلِ « البياناتِ » الذبابَ

تَسَافَلَ الشُّعراءُ يا بغدادُ

وانْتَحَرَ القصيدْ

« فالمربدُ » الغَجَريُّ : دينارٌ ومائدةٌ وجِيدْ

« البحتريُّ » بكى .. وخَبَّأَ حرفَهُ العربيَّ

فاحْتَرَفَ التشرُّدَ ،

و « ابن كوفتها » طريدْ

لسنا بعصرِ الشعرِ يا بغدادُ

ذا زمنُ الفجيعةِ والخطيئةِ و « الثريدْ »

ما عدتُ أرثي « قُرْطُبَهْ »

إني رثيتُ الكرخَ والعشّارَ

والنخلَ الذي ما عاد يحملُ -

غير تمرِ المَسْغَبَهْ !!

مَنْ ذا سيكتبُ عن عذاب البرتقالِ ،

عن احتراق الياسمينَ ،

عن انتحار السُّنْبُلَهْ ؟

ومن الذي سيذوذ عن شرف القصيد

وعن عفافِ المسْألهْ ؟

□□□

١٧ جرحي على سعة العراق

إلى الشاعر
معيض البخيتان ..

أسَكَنْتَ عُمري أيُّها التَّعَبُ ؟
فالَّيْل سهدٌ ، والضُّحى سَغَبُ !

تمشي معي ظِلاً وتَشْرِكُني
حَقْلي فَيُدْمِي غَرْسَهُ الجَدَبُ !

لو كُنْتَ يُسْراً ما ارتميتَ على
دَربي ، ولم تحمِلْكَ لي سُحُبُ

وَلَمَا عَزَمْتَ على ملازَمَتِي
فَوَصَلْتَني والصحبُ قد ذهبوا

ما للبحارِ عليَّ مُغْلَقَةٌ
إلاّ التي أمواجُها اللّهَبُ ؟

شَفَةُ الهوى عطشى ، ومُقلتُها
رمداءُ لم ترقُصْ بها الشُّهُبُ

عَقُمَ الزمانُ فليس منْ فَرَحٍ
يأتي ، ولا الأحزانُ تحتجِبُ !

شاخَ الهوى طفلاً وقد هَرِمَتْ
أحلامُهُ العذراءُ ، والأرَبُ

لا العِشقُ ينأى عن فؤادِ فتىً
مثلي ، ولا المعشوقُ يقْتَرِبُ

صَدِئَتْ أمانينا ، فما اكْتَحَلَتْ
عَيْنٌ بِنَشْوَتِها ، ولا هُدُبُ

تَغْفُو جراحاتي فيوقِظُها
وَجْدٌ له في خافقي نُدَبُ

مـــا إنْ يزور الليلُ نافــذتي
إلاّ ويحـــــملني لـهُ الوَصَبُ

هَرَبَ الصبــاحُ فــمــا تَرِفُّ به
شـــمسٌ ، وليلُ الصَبِّ مُنْصَلِبُ

ثغـري بلا صـوتٍ وأشـرعـتي
مـــــذبوحَةٌ ، والموجُ مُضْطَرِبُ

مُتَســـــاندانِ عليَّ من زمنٍ
قـلـبـي وهـذا المُفْصِحُ الـذّرِبُ

لـهـــمــا عليَّ يدٌ مُشــاكِســةٌ
وعلى رخـــيصِ الجــاهِ مُنْقَلَبُ

جُرحي على سعـةِ العـراق فـمـا
أقْســـــاهُ حين تَعَذَّرَ الطَبَبُ !

* * *

يا نَخْلُ كـيف الحـالُ في وطـني؟
كـيف الضـفـافُ ونهـرُها العَذِبُ ؟

كيف « السماوة » ، كيف « قشلتها » [١]
وهل الضُحى مـا زال ينْتَحِب ؟

وهـل « الجُدَيْدَةُ » [٢] مـا تزال على
عـهـدي بهـا ، أم راعـهـا الرُّعُبُ ؟

يانخل : والناعـورُ ، هل طَفَحَت
أكـوابُهُ ، فـالماء ينكسبُ ؟

والعـاشـقـون ؟ أمَا يزالُ بِهِمْ
– خلف الحِسانِ – الدربُ يصْطَخِبُ ؟

بـين القـلـوب مَوَدَّةٌ وعـلى
أحْداقِهِمْ يَتَراقَصُ الـشَّغَبُ !

وهـل الـفـنـاجـينُ الـتـي كُفِئَتْ

عـــادَ الرَّنـينُ لـهنَّ والـطَّرَبُ ؟

يا نَخْلُ هل مازال مــجلِسُنا

يـــرْتَادُهُ الإيمـــانُ والأدَبُ ؟

والفــاتناتُ ؟ أمـــا يـزال على

ضِفَةِ الفـــراتِ لهنَّ مُصْطَحَبُ ؟

يضْفِرنَ خُوْصَ النخلِ آنيـــةً

يـزهو بهـــا الرُّمَّانُ والعِنَبُ ؟

يا نـخْلُ أيْنَ الحدُّ في وطني ؟ (٣)

فَلَقَدْ تَســـاوى الجِدُّ واللَّعِبُ !!

إنَّ الســيـوفَ اليومَ كـاذبةٌ (٤)

أنْبـــاؤُها يا نـخلُ ، والكُتُبُ !

صَدَقَتْ أبــاطـيــلُ مُلَفَّقَةٌ
ورزيئـــةٌ أنْ يَصْدُقَ الـكَذِبُ ![٤]

فـــإذا الـرِّفــاقُ حــرائِرُ وإذا
كـلبٌ عـلـى بـيـت الأُسُودِ أبُ !

يا نـخْلُ مـــا أبْقــاكَ فـي وطـنٍ
كــادَتْ تَفُرُّ ســهـولُهُ الـنُّجُبُ ؟

فَرَّ الـعِراقُ مـن الـعـــراقِ ، وَعَنْ
بُسْتــانِ مـجـدِكَ يهـربُ الـهَرَبُ

يا نَخْلُ مــا أبقــاكَ ؟ قــد ضَمُرَتْ
منكَ الجــذوعُ ، كــأنهــا قَصَبُ

تـغْفُو جُذورُكَ فـي حــشــاشــتـنـا
فـكـأنـهـــا لـقـلـوبِنـا عَصَبُ !

عَقُمَتْ عــــذوقُكَ فـــــهي مُجْدِبَةٌ
غــرثى ، وَسُلَّ الســغْفُ والكَرَبُ !

* * *

بــغــــــــدادُ يــا أُمّاً تَسَيَّدَهــا
بــعـــــدَ الــعَفَافِ وأَهْلِهِ الجَرَبُ !

بغدادُ يادِفْئاً وعــافـــيـــةً
لولا « مَخيب » راحَ يَحْتَطِبُ ! (٥)

أبكي ، و « عــامــوريَّةٌ »(٦) بدمي
تبكي ، فــتــرثي حــالَنا الحِقَبُ

لو أن في بغدادَ « مــعــتــصــماً »
لَنَدَبْتُهُ ، والــــــشَّهْمُ يُنْتَدبُ !

فـــمـــتـى يقــود جُمــوعَنا « عُمَرٌ »
والبــغْضُ فــوقَ كـتــابِهِ وَثَبُوا ؟

مُتَحَزِّبُون عـــلــــى أرومَتِنـــا
وعلى عـــدُوٍّ اللـهِ مــا احْتَزَبُوا

رَخُصَتْ رجـولتُهم وقــد حــسـبـوا
أنَّ الـضَّلالَ الـفــــوزُ والـغَلَبُ

تلك الجــســومُ - وإنْ مَشَتْ بَشَراً
بين الجــمـــوعِ - فــإنهــا نُصُب

رقَصُوا عــلـى أشـــــلاء أُمَّتِنـا
وعلى صــراخِ فـجـيـعـةٍ طرِبوا

إنْ تُذْكَرِ الأسْبـــــابُ عـن دَمِنـا
فَضَلالُهـم لــنـزيـفـنـا سَبَبُ !

النـاطِقــــونَ الضـــــادَ - بـاطِنُهُمْ
صِرْبٌ - وظـاهـرُ شـكـلِهِم عَرَبُ !

أبْطـالُ أحـــــلامٍ فـــــإنْ وَقَفُوا
يومَ الكريهـــةِ : تـرجُفِ الرُّكَبُ !

* * *

يـا أُمَّةَ الـقـــــــــــرآن ، وَحَّدَنـا
نـــورٌ ، وفَرَّقَت المـــنـــى حُجُبُ

يــا أُمّةَ الـــقُرآنِ - فَرْطَ أســـىً -
ضــاقَ الخـيــالُ الوَهْمُ والـعَجَبُ

بـغـــــدادُ تُسْبى - وهـي أرْمَلَةٌ -
والـثّاكــلانِ القــدسُ والـنّقَبُ

وعلى سريرِ الصرّْبِ في عَسَفٍ
تُدْمى « سرايـيـڤو » وتُغْتَصَبُ

يا أُمَّةَ القُرْآنِ أتْعَبَنا
هذا البُكاءُ ، وَمَلَّنا التَّعَبُ !

* * *

ومُحَدِّثٍ بالعفوِ أخبرني [٧]
أنَّ الطَّريقَ لعائِدٍ رَحِبُ !

وبأن أنعاماً ستطرقني
من بعضِها الريحانُ والذَّهَبُ

ماليْ وعهد الوَغْدِ ؟ هل صدقَتْ
أقوالُ مَنْ لِلُؤمِ يَنْتَسِبُ ؟

مـــا كُنْتُ يا بغـــدادُ من وَهَنٍ
أشكو ، ولكن هَدَّني الـوَصَبُ

فـــإذا شَتَمْتُكِ بعـــد لاعـــجَةٍ
فـلأنَّ بعضَ شتـيـمـةٍ عَتَبُ !



---

(١) القشلـة : منطقة من مناطق مدينة السماوة .

(٢) الجديـدة : المنطقة التي انطلقت منها شرارة الانتفاضة المسلحة في آذار ١٩٩١م في مدينة السماوة .

(٣)(٤) إشارة إلى قصيدة أبي تمام والتي مطلعها :
السيف أصدقُ أنباء من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

(٥) المخيب : لقب يتندّر به العراقيون من الطاغية صدام ومن رتبة « المهيب » المنتحلة .

(٦) عامورية : هي موقعة عامورية التي انتصر فيها الخليفة المعتصم بالله على الروم .

(٧) أصدر الطاغية عفواً عن المعارضين بغية إقناعهم بالعودة والإيقاع بهم .

١٨ مُلاحظاتٌ في دَفترِ الشريد

إلى الأديب الكبير الشيخ
عبدالعزيز الرفاعي
وحديثه المشوق عن الماضي الزاهر للعراق قبل
أن يصبح مزرعة للأسى في الزمن العفلقيّ .

١ - عَلَمان لوطن واحـــد :

فـي بلادي عَلَمـــانْ

عَلَمٌ يرتفع الصبحَ على سارية الدولــةِ

أو فوق البناياتِ ،

له رائحةُ العشبِ وشكلُ السُّنْبُلَهْ

آخـــرٌ :

ترفعهُ دبأَبَةُ السُّلْطَةِ نصفَ الليـــلِ

أو فجراً -

له رائحةُ العارِ ... وشكل القُنْبُلـــهْ !

* * *

٢ - الناطقُ الرسمي :

أخرسٌ ماءُ « الفُراتينِ »

وعطرُ الوردِ أخرسْ

كلٌّ شيءٍ عندنا مُتَّهَمٌ بالنُّطْقِ ،

لا حَقَّ لثَغْرٍ غيرأنْ يأْكُلَ من أرغِفَةِ الصمتِ

وأن يشربَ من آنيةِ الصمتِ المُقَدَّسْ

أو يُغَنّي باسم « هولاكو ببغدادَ » ،

و « ثالوثِ ابن ميشيلَ » ،

وباسم الفاتح المجنونِ والسيفِ والمُدَنّسْ

في بلادي :

أصْبَحَ الناطقَ باسم الدولةِ الأبْكَمُ ،

أو :

ثغـــر المسدّسْ

* * *

٣ - خطــأٌ مطبعـــي :

يُقالُ أنَّ « القائد الضرغـــامْ »

أصدَرَ أمـــراً

بافْتتاحِ غابَةٍ من شَجَـــرِ الأنْعَـــامْ

لكنّمـــا المسؤول في مطبعةِ الدولـــةِ

قد أخْطـــأَ ـ

حيثُ اسْتَبْدَلَ « الأنْعَـــامَ » بـ« الألْغَـــامْ »

واستبْدَلَ « الميـــاهَ » بـ« الـــزُّؤامْ »

و « الحَـقَّ » بـ« الحَـــرامْ » !

* * *

٤ – بطل آخر الزَّمان :

سيذكرُ الرُّواةُ أنَّ البَطَلَ الأخير في العراقِ

كان « خُنْثى » !

دليلُهم ؟

أنَّ « مهيباً » آخرَ الزمانِ –

يغدو رجلاً على المساكينِ .. فلا هوادةٌ

لكنه أمام أعداءِ كتاب اللهِ والضّاد :

يصير « أنثى » !

* * *

٥ - رغبـــــة :

برغبةِ الزوجــةِ أنْ ترضع طفــلاً -

لم تَلِدْهُ بعْـــــدْ

برغبـةِ النحلـةِ أن تلثم ثغــرَ الـوَرْدْ :

رغبْتُ أنْ أعبُــرَ هذا الزمنَ المجـدورَ

والمجدَ الذي ليس به من مَجْــــدْ

رأيتُ كلَّ قريــةٍ مقبـــرةً ،

وكلَّ بيتٍ لَحْـــدْ !

يا وطنـــي المفجــــوعْ

حتى متى نأكـلُ من أرغفـةِ الهــوانِ

أو نـشربُ من آنيـةِ الدمـوعْ ؟ !

□□□

١٩ أدق بابٌ خيالاتي

إلى الشيخ الأديب

عبدالمقصود خوجة .

كـأنَّ « دجلةَ » مُذْ فـارَقْتُهـا كـاسي
وأهَلهــا رغمَ هـذا البــعــدِ جُلاّسي

شــرَبْتُهـا لوعــةً كـالدمع صــافـيــةً
فَعَرْبَدَ الـقَلَقُ المســعــورُ فـي راسـي

أدور حــولَ وجــوه الأمس في شَغَفٍ
صَبّاً - ومـائدتي البـيـضـاءُ قـرطاسي !

أدُقُّ بابَ خــيــالاتي ، وفــوق فــمي
ســحــابةٌ من لظى همسٍ وإيجــاسِ

ولستُ عـاصـرَ أعنابٍ ، فـقـد عَصَرَتْ
يدُ التَّشــرُّدِ أفـــراحي وإينـاسي

فَلَيْتَ مَنْ خَبَرَ الأيامَ يخـــبـــرني
كبـا اللئام بنا ، أمْ دهرُنا القـاسـي ؟

يُوَسْوِسُ الشكُّ بي ، هل كانَ لي وَطَنٌ
أم أنـه كـــان مـن أوهامِ وِسْواسِ ؟

هَجَرْتُهُ فـــــإذا بـي وَسْطَ لُجَّتِهِ
وكـان مني قـريبـاً مـثْل أنفـاسـي

طَرَدْتُهُ مـن خـيـالاتي وذاكـرتي
فـمـا طردتُ سوى نفـسي وإحساسي

كـــأنّمـــا مُقْلي لمّا تـقـــاسَمَني
هذا التـشـرُّدُ ، أحـداقُ لقـسطاسِ

عـينٌ تَرِفُّ عـلى نـخلٍ ، وثـانـيـــةٌ
على وجـوهِ سـبـايا شـعـبِهِ الآسي

فـمـا مـشـيـئـةُ منفيٍّ يَرى وطناً
يـسـوقُهُ لـلـرزايا شَرٌّ نَخّاسِ ؟

تـركـتُ فـيـه قـناديلي مُحطَّمـةً
وظامئاتٍ على الأنهارِ أغراسي

ذوى النخيلُ على شطآنِ « دجلته »
فكيف يعبقُ زهرُ الفُلِّ والآسِ ؟

* * *

الحمد لله في نُعمى وفي باسِ
الحمدُ لله في حزنٍ وإيناسِ

حَمَلْتُها جذوة الإيمان لي نَسَغاً
فَعَطَّرَتْ بالشذى روحي وأنفاسي

فلو شـربتُ مـيـاهَ النُّسْكِ أجْمَعـهـا
لما ارتوتْ شَفَتي العطشى لنبـراسِ

مُعَبَّدٌ بالضَّنى والجمـرِ دربُ غـدي
مـشـيـتُهُ ، والهدى سـهـمي وأقْواسـي

أقُودُ ضِدَّ قنوطِ اليـومِ عـشبَ غـدٍ
ومـــا ضـــربتُ على رملٍ بأسْداسِ

□□□

٢٠ زهُورٌ بَرِيَّة

- ١ -

أُجيئُكِ ماءً وقمحـا

تجيئـــينَ جُرحـــا

أجيئكِ من شَجَرِ العشقِ غابـهْ

تجيئـــينَ نفْيـــاً ..

وحينـــاً كآبـــهْ !

فَلَيْتَ التي علَّمَتْني الصَّبابَــــهْ

تعلمني الصبـــرَ ..

والاستِجابــــــهْ !

* * *

- ٢ -

يا قَلَقي الجميـــــلْ

لوْ مرّةً يوقِظُ دِفْئُـــكِ الشَّهِيُّ

عُشبيَ القتيلْ

لوْ مَرَّةً نَسَجْتِ لي من المنى منديلْ :

غرَسْتُ ثَغَري فوقَ راحتيكِ سنديانـــةً ..

ومقْلَتي قنديلْ !

* * *

- ٣ -

أمنحُ صوتي للذي يعانقُ « الرّبابهْ »

وللذي يفتحُ لي كتابَهْ

أكتبُ :

يا أهلَ الهوى

قلبي لكـــم حديقـــةٌ . . .

ومقلتـــي سحابـــهْ !

* * *

- ٤ -

مثلُ بيـــوتِ الطينْ . . .

قلبي مثل بيوت الطينْ

فالشمسُ صديقةُ نافذتي . . .

وجداري حقلُ رياحـــينْ !

* * *

- ٥ -

حــينَ عــبَرْتُ السُّـــــورْ

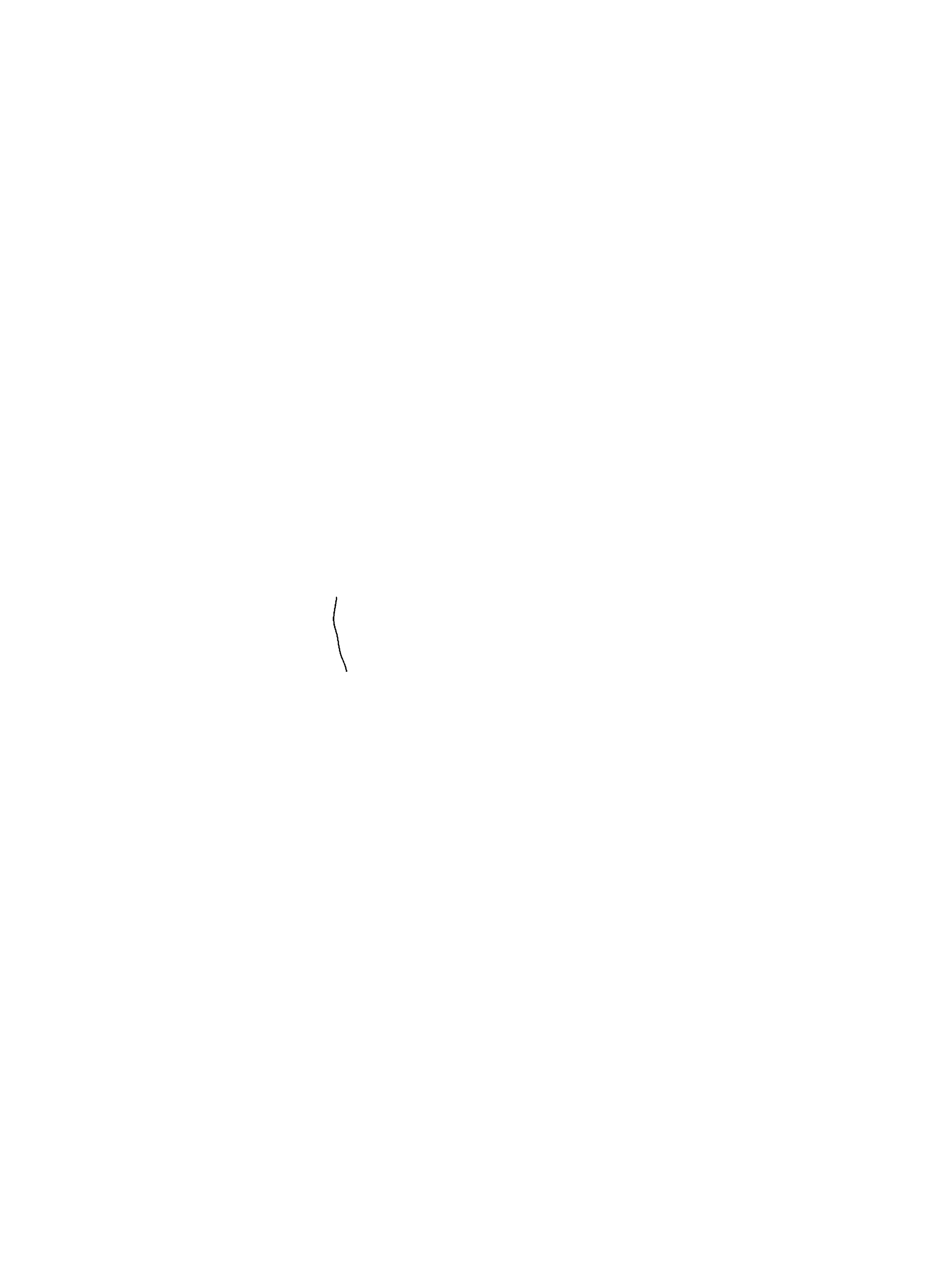
حملتُ أغْصاني معي . . .

فمن سيأتيني بطين الحقلِ والجذورْ ؟

ومنْ يُعِيـــدُ الزَّمَنَ الهــــاربَ

من يَرُدُّ عنِّي قلقي الموحشَ كالدَّيْجـورْ ؟ !

□□□



٢١ رباعِيّات



الحـــمــدُ لله . . بعضُ الدّاءِ كــالنِّعَمِ
ورُبَّمــا كــان رزقــاً دورقُ السَّقَمِ

إنَّ النواعيرَ-لولا النزفُ -ما عُشِقَتْ
ولا ازدهى دون حــبـرٍ نازفٍ قلمي

فــهلْ مَثــاَبُ جـهـادٍ لا عنــاءَ بـهِ
كـمــا مــثــاب جـهـادٍ حُفَّ بالألَمِ ؟

عــسى ذبولُ زهوري كان عــافـيـــةً
لعِطْرِهاَ ، ودوائي في مسيلِ دمي !

* * *

أضــعْتُكَ ياعــراقُ . . فــلا أراني
ســـأرْحَقُ فـــيكَ زَهْرَ العنفُوانِ

أُحَدِّقُ فـي الـوجـــوهِ فـــلا أراها
ولا أحـــداقُ أحــبــابي تـرانـي

تُقَرِّبُنـــي المـــنــافــي كــلَّ يـــوْمٍ
إلى نـأْيٍ فـــيــبــتَعِدُ الـتَّداني

وقـــد كُنْتُ الفـــتى المِصْداحَ لكنْ
تَعَطَّلَ - بعـد تشـريدٍ - لسـاني

* * *

ما للرصاصِ - على قرعِ النّواقيسِ
يَرُومُ مَعْشرَ تكبـيرٍ وتقـديسِ ؟

العـاشـقـون ظلامـاً جَلُّ مطمـحـهم
نـشرُ الضَّلالةِ أوْ قـتلُ النَّواميسِ

متى استطاعَ ضلالُ خَنْقَ شمس هدىً ؟
وإنما الدِّينُ شمسٌ لا كفانوسِ

ما راوَدَتْهُ يدٌ تَسْعى لفاجعتي
لو كانَ يعرفُ شوقي للفراديسِ

* * *

لي مثلُ كلِّ التائبينَ ذنوبُ
فاشْفَعْ لعبداللهِ يامحبوبُ

ولكلِّ مَنْ صلّى وصامَ مُكَبِّراً
وَسَمَتْ بهِ للمسلمينَ دروبُ

قد جئتُ فرداً يا نبيُّ . . وإنما
قلبي به - عَدَدَ النجومِ - قلوبُ

إنــي أرى نـار المجـــــوسِ تـنـاسَلَتْ
وأرى خـــطـــوبـــاً خَلْفَهُنَّ خُطُوبُ

* * *

أصَخْتُ سَمْعي إلى صَمْتِ الغَدِ القاسي
ومـــاأصَخْتُ إلى عـــزفٍ وأجـــراسِ
فـــهل أخـــافُ ظلامـــاً في مـــســـالِكِهِ
إنْ كـان نـورُ كـتـابِ اللهِ نبـراسـي ؟
ومـا انْـتـفـاعي بـعـقلٍ ليس يحـرسُني
من الـعـــثـــارِ ومـن إغـــراءِ خنّـاسِ ؟
وإنمـا الـنـاسُ ألـوانٌ . . وأجْمَلُهـــمُ
مَنْ كـــان يأمـــرُ بالمعـــروف للنـاسِ

* * *

عَلامَ تَيَمَّمـــوا . . والماءُ جـــاري
فـقـامـوا للصلاةِ على حَذَار ؟

ألا فـــاســأَلْ بَنِي عـمٍّي وَخـالي
وقـومـاً يطمحـون إلى حِواري

أمـثلُ كـتـابِ رَبِّي من كـتـابٍ ؟
وهل شـمعٌ كـشـمسٍ في نَهـارِ ؟

فـمـا لي والسياسة ، وهي سوقٌ
بضاعَتُهُ دموعي واحتضاري ؟

* * *

يا نادباً زَهْرَ الشـبـابِ الفـاني
إنَّ الـذي أضْنـاكَ مـــا أضْنـاني

كُلٌّ بـنـا يـبـكـي ويـنـدبُ حَظّهُ
ويودُّ أمـراً ليس فـي الحُسْبـانِ

أبكي كـمـا تبكي . . ولكنَّ الذي
مـا بيننا يا صـاحِ مُخْتَلِفَانِ

كـان الـشـبـابُ مَطِيَّتي لغـوايةٍ
يا ليْتَهُ مـا كـان من أزمـانـي !

* * *

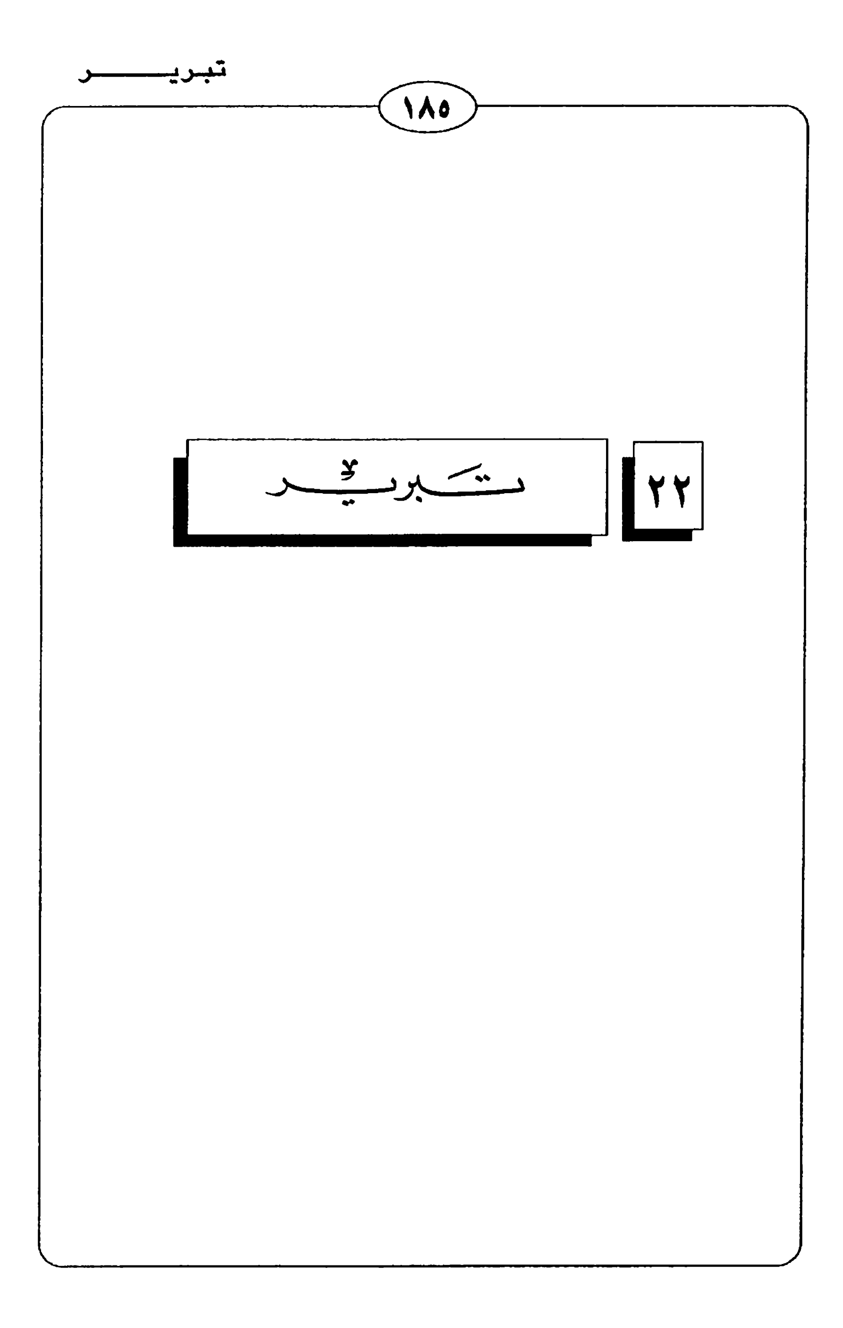
شُكْراً صـديقي إذْ كَشَفْتَ عُيـوبي
فَأَنَرْتَ بالنُّصْحِ القـويمِ دروبي

عَمِيَتْ أحاسيسي غداةَ مَضَيْتُ في
دربِ الغرورِ ، فمـا عرفتُ ذنوبي

قَدْ كنتُ أَحْسَبُني الغَلوُبَ ، وإنما
كانَ الغرورُ مَطِيَّةَ المغلوبِ

النَّاسُ مرآةُ اللبيبِ .. وَمَنْ رأى
عنها بديلاً : كانَ غيرَ لبيبِ

□□□



٢٢ تبريـر

لأنَّ عينيكِ عميقتــانِ ـ

عمقَ الحزنِ في الغُرْبَــةِ أو صبابةِ الغريبْ

صار غدي فضاء عندليبْ

لأنَّ عينيكِ ربيعٌ باتساعِ الحلمِ والفصولْ

صرتُ أنا الحقولْ

لأنَّ عينيك وديعتان كالأطفالِ يا آسرتي . .

ضاحكتانِ مثلَما النجومِ في السماءْ

صرتُ مياهاً ـ

فابعثيني للعطاشى ماءْ

لأنَّ عينيك تُحبّانِ السَّنـــا

وتكرهان الحربَ والظلامْ

حملْتُ بندقيتي ـ

أذودُ عن عشقي . .

وعن حدائق السّلامْ

□□□

٢٣ التجربة

إلى أخي الشاعر
أحمد سالم باعطب

ذُقْتُ العــذاباتِ

فما وجدتُ أشقى من عذاب التُّهمِ السرِّيهْ

وذُقــتُ كُــلَّ لَذَّةٍ شهيَّهْ

فلــم أجِدْ ألَذَّ من فاكهـةِ الحرِّيَّهْ !

غَفَوْتُ في الأقْبِيَةِ المُحْكَمَةِ الجدرانْ

غَفَوْتُ في حدائِقِ النَّعيــمِ . .

في أوديـةِ الحِرْمانْ

على سريرٍ من غصونِ التين ،

أو أسِرَّةٍ من حَسَكِ السعدانْ

مكرَّماً حينـــــاً . .

وألفَ مـــرّةٍ مُهـــانْ

جلسْتُ فوقَ العشبِ فِي غاباتِ سِنْدِيانْ

وفوقَ طينِ القهرِ والهوانْ

بين وُحُولِ « الهَــورِ »

أو حُقولِ « كردستـــانْ »

فلـــم أذُقْ خبزَ المُنـــى

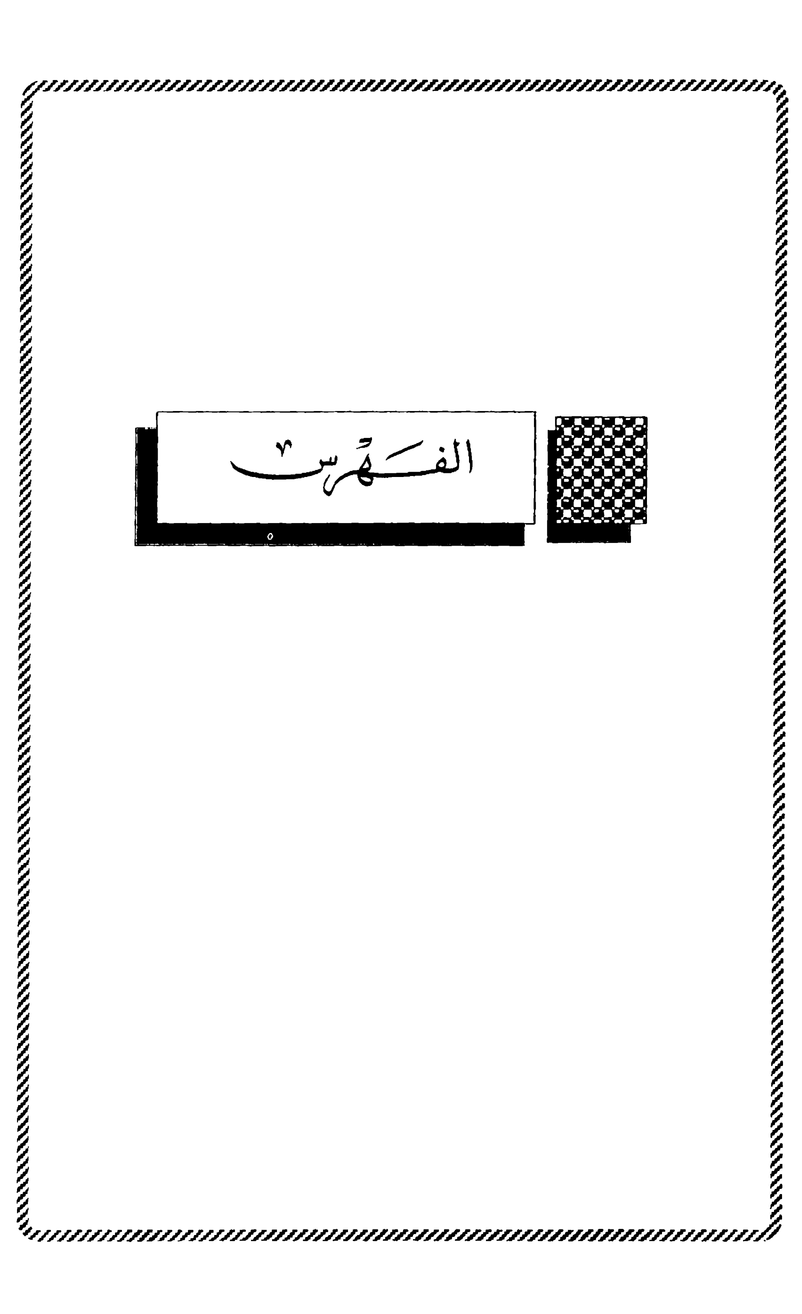
إلاّ عَلَـى مائدةِ الإيمـانْ

ما أضْيَعَ الإنسـانْ !!

ما أضْيَعَ الإنْسـانْ !!

إنْ لم يَسِرْ على هُدى القُـرْآنْ !

□□□



الفهرس

سلاسل تصدرها دار الرفاعي

لقد أصدرت دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع خلال مسيرتها منذ أكثر من ثلاثة عشرة عاماً السلاسل الآتية :

١ - سلسلة المكتبة الصغيرة
٢ - السلسلة الشعرية
٣ - سلسلة المصابيح
٤ - سلسلة دراسات في الصحافة الأدبية
٥ - سلسلة المكتبة التراثية
٦ - سلسلة في رحاب الحرمين
٧ - سلسلة مذاهب وتيارات
٨ - سلسلة مدن ومعالم
٩ - سلسلة تواريخ مكة
١٠- سلسلة السيرة النبوية
١١- سلسلة أمهات الكتب
١٢ - سلسلة دنيا القصص
١٣ - سلسلة الطبقات
١٤ - سلسلة مكتبة الدراسات
١٥ - سلسلة دراسات أدبية
١٦ - سلسلة كتب في الإعلام
١٧ - سلسلة الصحة والحياة
١٨ - سلسلة المعاجم
١٩ - سلسلة في الاقتصاد الاسلامي
٢٠ - سلسلة آفاق إسلامية
٢١ - سلسلة من دفاتري
٢٢ - سلسلة دراسات نقدية
٢٣ - سلسلة شعراء مغمورون

اتصلوا بنا : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص.ب : ١٥٩٠ الرياض ١١٤٤١
هاتف : ٤٧٨٨٨٣٣ - فاكسميلي ٤٧٩٤٣٢١

هذا الديوان

جرحٌ متوهجٌ ، ووهجٌ متألّقٌ ، والألق يضيء كل العراق .

نفسٌ شاعرة .. ثائرة على الظلم والفساد والطغيان .. داعية إلى أن يسود العدل والسلم والسلام كل أجواء العراق .

وكلماتٌ لو أتيح لها .. لصارت لهباً يحرق الظالمين ، ويقطع دابر المفسدين .

ثم غربةٌ وحنينٌ للوطن المخبّأ في خيمة الطغاة ، خلف قضبان الحديد ..

ومع هذا .. وفاءٌ للإخوة الذين أرادوا أن يخفّفوا من وطأة الغربة ، ومن ألم المصاب .

كل هذا تجده في ديوان (الاختيار) .

ردمك : ٠-٢٠-٦٦٢-٩٩٦٠